بسم الله الرحمن الرحيم

الامعان في آيات القرآن

الجزء الأول

سامي التميمي

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم وعلى آله خير سادات الأمم.

وبعد: لا يخفى على القارئ الكريم من وجود الحث والتحضيض من قبل الله المنان على التدبر والامعان، في آيات القران قال تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (١).

والامعان: هو النظر والتدبر في الشيء على مهل وتروٍ لمعرفة حيثياته وشؤونه المختلفة، ولإزالة الإبهام والغموض عنه.

والامعان في آيات القران يحتاج قلوب طاهرة، وعقول نيرة، وصدور منشرحة، حتى تعي كنوز القران، ونفائس الآيات، ويجد النظر والتدبر سبيله في رؤية حقائق الامور، وينال الفؤاد حظه في كشف المستور، وتشفى الاغلال التي في الصدور قال تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ. (٢).١وقال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وقال سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤) . وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح

١- سورة ص اية ٢٩
٢- سورة القمر آية ١٧
٣- سورة الاسراء اية ٨٢
٤- سورة يونس اية ٥٧

الدجى فليجلّ جال بصره ويفتح للضياء نظره فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور. (١) .

وان عدم النظر والإمعان في معارف القرآن أو الإحجام عنها هي نتيجة وجود الاقفال الكثيرة على القلوب التي تحول دون ذلك قال عز وجل(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (٢) .

وقد اشار امير المؤمنين (عليه السلام) الى أهمية مجالسة القران بقوله: وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ في هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى) (٣).

ومن الواضح أن الامام لم يقصد المجالسة الهامشية الشكلية الخالية من التدبر والنظر إنما قصد المجالسة التي تكون عن امعان ووعي وتدبر ومباحثة حتى تؤتي أثرها في القلب والعقل بزيادة في هدى، ونقصان من عمى ولذا ورد في كتاب الله الحكمة من قراءة القران على امتداد البعثة النبوية لكي يُقرأ على مُكث، وتعي الناس مضامينه، وتدّبر في تعاليمه قال سبحانه (وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلا) (٤)..[2]

١- الكافي ج ٢ ص ٦٠٠
٢- سورة محمد آية ٢٤
٣- نهج البلاغة خطبة ١٧٦
٤- سورة الإسراء آية ١٠٦

وكذا نزول الرحمة على المستمعين والمنصتين له عند قراءته لأن الاستماع والإنصات هو اهتمامٌ وإعارةُ العقل لإدراكِ وتدبر ما يُقال (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١)

وقد وصف القران الكريم المستمعين القول، والمتبعين لأحسنه بأنهم ممن هداهم الله، وانهم اولوا الالباب، لأنهم استمعوا القول، والخطاب الالهي فتدبروا ووعوا ما فيه فاتبعوه عن وعي ودراية قال تعالى (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ (٢)

أما مجالسة القران مع وجود الاقفال والحجب كهوى النفس والتعصب والأنفة والتقليد الاعمى فلن تغني شيئا.

إذاً من الضروري للمؤمن ان يتدبر في القران ويتمعن في آياته حتى يقوم عنه بزيادة في هدى، ونقصان من عمى، ويقف على لطائف أسراره، ودقائق أحكامه، وبلاغة أقواله، وآداب كلامه، فينال ثوابه، ويبلغ مرامه..[٣]

روي عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام (قال: يجيئ القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منا فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا حتى ينتهي إلى رب العزة عز وجل فيقول: يا رب فلان بن فلان أظمأت هواجره وأسهرت ليله في دار

١- سورة الأعراف اية ٢٠٤
٢- سورة الزمر آية ١٨

الدنيا وفلان بن فلان لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن: اقرأ وارقه قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلة التي هي له فينزلها. (١)

ولكن للأسف يوجد تقصير واضح تجاه القران الكريم من قبل المسلمين من جهات عدة كعدم تلاوته وتدبره وتعلمه وتعليمه والعمل به.

فالقران اصبح مهجورا غريبا بين المسلمين يعلوه الغبار، ولا تتلى آياته الا في أيام قصار، وقد جاء في القران، ان النبي المختار، يشتكي يوم القيامة عند العليم الجبار قال تعالى (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٢) .

وورد في الاخبار عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السَّلام) أَنَّهُ قَالَ: "ثَلاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَسْجِدٌ خَرَابٌ لا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ، وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ. وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لا يُقْرَأُ فِيهِ.(٣).٤

وإذا أردنا ان نحسن الظن بالمسلمين من جهة تلاوته فانا لا نعذرهم من جهة فهمه والوقوف على حقائقه ولطائفه واسراره فان الغالب منهم لا يَعون ذلك انما يقرؤونه لأجل الثواب، وهذه حقيقة مُرّة ولكن لابد ان تُقال على كل حال.

ولذا اردنا من هذا البحث (الامعان في آيات القران) التنبيه وايقاظ الافهام، وتوسيع مدارك الاذهان، والوقوف على نكات القران. ونيل

١- الكافي ج ٢ص ٦٠١
٢- سورة الفرقان اية ٣٠
٣- الكافي ج ٢ ص ٦١٣

الحظوة والمنزلة عند الرحمن، فالناس يتفاضلون في منازلهم ومراتبهم في اعلى درجات الجنان على قدر ما وعوا وعملوا بالقران. عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ حَفْصٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ لِرَجُلٍ أَتحبُّ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ وَلِمَ قَالَ لِقِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَسَكَتَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ يَا حَفْصُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَشِيعَتِنَا وَلَمْ يُحْسِنِ الْقُرْآنَ عُلِّمَ فِي قَبْرِهِ لِيَرْفَعَ اللَّهُ بِهِ مِنْ دَرَجَتِهِ فَإِنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ يُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَ فَيَقْرَأُ ثُمَّ يَرْقَى قَالَ حَفْصٌ فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشَدَّ خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام وَلا أَرْجَى النَّاسِ مِنْهُ وَ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ حُزْناً فَإِذَا قَرَأَ فَكَأَنَّهُ يُخَاطِبُ إِنْسَاناً..°(١) .

ولذا ينبغي للمؤمن ان لا يزهد بهذا الفضل الكبير والثواب الجزيل، وان يخصص وقتا يتفرغ به لتلاوته ومطالعته ومجالسته بإمعان وتدبر حتى يرتقي بمستواه العلمي والمعرفي.

عن الزهري قال: قلت لعلي ابن الحسين (عليهما السلام) أي الأعمال أفضل قال: الحال المرتحل قلت: وما الحال المرتحل قال:

فتح القرآن وختمه، كلما جاء بأوله ارتحل في آخره وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله :(من أعطاه الله القرآن فرأى أن رجلا أعطي أفضل مما أعطي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا. (٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام انه: ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن، أو يكون في تعلمه. (٣).

١- الكافي ج ٢ ص ٦٠٦
٢- الكافي ج ٢ ص ٦٠٥
٣- بحار الانوار ج ٨٩ ص ١٨٩

بعد هذه المقدمة نسأل الله عز وجل ان يجعلنا ممن تمعن في آياته، وتدبر في كتابه، وعمل بأوامره، وانزجر عن نواهيه.

سامي التميمي

الآية الاولى

قال تعالى (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّـاتِ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فـاتَّقُواْ اللّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) .(١)[٦]

أليس منكم رجلٌ رشيد؟

الآية المباركة تناولت جانبا من قصة نبي الله لوط (عليه السلام) مع قومه، الذي كان يعيش بين ظهرانيهم، وكان قومه يمارسون أرذل فاحشة لم يسبق ان مارسها أحد قبلهم من العالمين كما ذكرّهم نبيهم بذلك لعلهم يتعظون (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ) (٢).[٧]

وفي الآية المباركة عدة ملاحظات مهمة:

الأولى: ان الآية المباركة عبرت عن قوم لوط مباشرة من دون توطئة وتمهيد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ) اشارة الى العجلة من امرهم دون تأخير وتأني بسبب سكرة الشهوة، واستبشار بارتكاب الفاحشة (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ)(٣).

الثانية: وأن عبارة (قوم) تشير ظاهرا بان جمعا كبيرا قد جاء الى نبي الله لوط (عليه السلام) لارتكاب الفاحشة، فالقوم هم جماعة من

١ سورة هود آية ٧٨
٢ سورة الأعراف آية ٨٠
٣ - سورة الحجر آية ٦٧

الناس ويدل عليه لفظة (اهل)في قوله تعالى (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ).

ولذا عمهم الله بالعذاب قال تعالى حاكيا عنهم (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ). (١)

الثالثة: بعدما علم قوم لوط أن ضيوفا قد حلوا على نبي الله لوط (عليه السلام) وهم رسل الله أتوا إليه ولكن بطريقة ملفتة وعجيبة وهي الهرع والهرع هو المشي السريع مع اضطراب وذلك بسبب ولعهم بارتكاب الفاحشة، وخوفهم من فوتها.[٨]

نعم هي سكرة الشهوة، وإدمان الفاحشة تجعل الفرد مضطربا في سلوكه وأخلاقه ويسير عكس فطرته السليمة، لأنه قد اعمى بصيرته، وعبد شهوته، وتخلى عن انسانيته حتى فاق بذلك الانعام بل اضل سبيلا، بغية نيل هواه وإشباع غريزته، غير مبال بالعواقب الخطيرة التي تحدق به من كل جانب وتهدد كيانه ومجتمعه، ودنياه وآخرته.

الرابعة: وعلة مجيء القوم الى نبي الله لوط (عليه السلام) لم تكن خافية عليه وان قومه ايضا يعلمون ان لوطا يعلم بنواياهم السيئة قال تعالى (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ).

١- سورة الذاريات آية ٣٦

بل قد ضاق بهم ذرعا وخوفا قبل مجيئهم اليه وذلك حينما حلّ الضيوف عليه لأنه يعلم شدة ما نزل به من الاحراج والبلاء، وان قومه سيهرعون اليه حال علمهم بخبرهم (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ). (١)

فالكريم لا يضيق ذرعا بمجيء الضيف إليه بل يزداد سرورا وكرامة به، لكنه يضيق ذرعا وخوفا ويعده يوما عصيبا عليه إذا ما علم أن هناك شدة ستحل بضيفه وهو ضعيف لا يستطيع دفعها.

الخامسة: ان قوم لوط لا يجدون في أنفسهم أي حرج بمجيئهم إليه بهذه الكيفية التي عبر عنها القرآن بالهرع، طالبين ضيوفه، وتخليه عنهم، لأنهم كانوا متوغلين بالفاحشة بحيث أصبحت الفاحشة جزء من ثقافتهم، وعادة مستشرية في مجتمعهم بحيث لا يتحرجون من فعلها والبوح بها (وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَاتِ).

والسيئات جمع سيئة عكس الحسنة، والسيئة هي الفعل القبيح الذي يقبح اتيانه، ويكره عمله، وتسيء وتعم آثاره السيئة، وتبعاته الخطيرة على فاعله ومجتمعه، ولكن قوم لوط بسبب اعتيادهم على ارتكاب الفاحشة لم يكن يرون بها بأسا واحراجا.[٩]

السادسة: ان السيئة لا تطلق على المعاصي الصغيرة بل تعم الكبيرة أيضا كما في الآية التي نحن فيها خلافا لقول بعض اللغويين الذين اعتبروا السيئة هي المعصية الصغيرة والصحيح انها شاملة لجميع

١- سورة هود آية ٧٧

المعاصي، سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة ومخالفة للقوانين الإلهية، والفطرة السليمة قال تعالى (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ). [١]

السابعة: أراد نبي اللّه لوط (عليه السلام) ان يدفع الاذى والسوء عن ضيوفه بأية وسيلة، لكنه لما يأس منهم وعلم أن قومه مصرون على فعل الفاحشة ، وان النصيحة والموعظة لا تجدي نفعا فيهم(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (٢) فعندك ذلك اشارة اليهم ببناته فقال (قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) .

أراد بذلك أن يذكرهم بفطرتهم التي غطوها بمعاصيهم وأنهم وقعوا تحت وطأة تلبيس إبلّيس اللعين، واللهث وراء نزواتهم الحيوانية التي أخرجتهم عن انسانيتهم وطهارتهم وفطرتهم حتى وقعوا في مستنقع الارجاس.[١٠]

الثامنة: ولا شك أن نبي اللّه (عليه السلام) أراد بقوله (هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) نكاحا شرعيا وليس سفاحا محرما فليس من اللائق والمنطق ان يدفع قومه عن ضيفه بتعريض في انتهاك عرضه، فالخزي الذي يقع على الشخص في عرضه ليس بأقل وقعا في وقوعه على الضيف الغريب وإن عُدّ خزياً.

ومن المعلوم ان السفاح لدى المجتمعات حاضرها وغابرها يعد عملا مشينا ومخالفا للطهارة والفطرة حتى مع ممارسته سرا وعلناً وبالتالي فإن لوطا (عليه السلام) لم يكن غافلا عن تلك الثقافة المرتكزة في

١- سورة الزمر اية ٤٨

٢- سورة الحجر اية ٧٢

أذهانهم، فكيف يصح منه ان يقول لهم (هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) مع علمه المسبق بان الزنى لا يعد من الطهارة بشيء.

ولأحتج قومه عليه ولاتخذوا اقتراحه ذريعة لأبطال نبوته لكنهم سكتوا عن ذلك لعلمهم أنه كان يقصد النكاح وليس السفاح.

وما قيل إنه كيف يقوم نبي اللّه لوط (عليه السلام) بتعريض بناته للنكاح وهو يعلم بكفر قومه؟ وهذا لا يكون إلا أن يقع سفاحا؟

ويردّ على هذا القول بأن الامم في شرائعها وأحكامها لم تكن على منهاج واحد فقد يكون الشيء محللا في شريعة ما ومحرما في شريعة أخرى وهذا الاختلاف نتيجة الظروف والموضوعات التي تعيشها الشعوب والمجتمعات قال تعالى(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).[١]'' وهناك اقوال اخرى في الجواب على هذا التساؤل منها ان لوطا(عليه السلام) اراد بقوله (بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) بعد ايمان قومه ، ومنها انه قصد بنات قومه لأنهن بمثابة بناته لأنه نبيهم وغير ذلك.

التاسعة: ولما ازداد اصرار قومه على ارتكاب الفاحشة وانهم (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً) (٢) اخذ لوط (عليه السلام) يذكّرهم اللّه، ويخوفهم عذابه فقال لهم (فاتَّقُواْ ألّله) ولكن (اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي) قال تعالى (وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) (٣)

١- سورة المائدة اية ٤٨
٢- سورة التوبة اية ١٠
٣- سورة يونس اية ١٠١

العاشرة: أن حرمة وكرامة الضيف هي من حرمة المضيف وان الذب عنه وحفظه من مستلزمات وأخلاقيات الضيافة وأن أي تجاوز عليه يعد اهانة وخلة وتجاوزا بحق المضيف ولذا عبر لوط (عليه السلام) بقوله (وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) والخزي هي المهانة والذل والعار الذي يصيب المرء جراء فعل قبيح سواء صدر منه او لحق به من غيره قال تعالى (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ).(١)

ومن الأدعية القرآنية المحببة، ان يدعو المؤمن بنجاته من خزي يوم القيامة قال تعالى (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ) (٢).

فالخزي أمر مكروه بالطبع والجبلة لأنه يكون مشاعا بين العامة والخاصة بأمر قبيح ويؤدي الى الفضيحة والمهانة، وخاصة إذا ما وقع من شخص وجيه وله مكانة شريفة في المجتمع أو لحق به بسبب العلقة النسبية أو أخلاقية او اجتماعية كالضيف.[١٢]

ولذا كان نبي الله لوط (عليه السلام) يقدر مكانة وحرمة الضيف ووجوب صيانة كرامته وأن الاعتداء عليه وخاصة بارتكاب تلك الفاحشة المشينة سوف تجلب له الخزي والفضيحة.

وقد اضاف مفردة الضيف اليه بقوله (في ضيفي) اشعارا لقومه بانهم هؤلاء الضيوف هم في ضيافتي وحمايتي وفي قِراي وإن شرفهم شرفي

١- سورة النحل اية ٢٧
٢- سورة ال عمران اية ١٩٤

فلا تخزوني فيهم. قال تعالى حاكيا عنه في سور الحجر (قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ).(١) .

الحادية عشرة: ثم استفهم عقولهم استفهاما استنكاريا لعلها تعي وتدرك مغبة عملهم، وعاقبة فعلهم فقال (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) لعل فيهم رجلا رشيدا ينهاهم عن غيهم، ويمنعهم عن فعلهم.

الثانية عشرة: الرشيد يقابل السفيه، ومصطلح الرشيد يطلق تارة في المسائل الفقهية وأخرى في المسائل الاخلاقية والاجتماعية.

اما الاول ما يطلق مصطلح الرشيد ويراد به من يحسن التصرف في أمواله مقابل السفيه الفقهي لا يحسن التصرف في امواله كقوله تعالى (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) الى قالت الآية (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (٢) وقوله تعالى (فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ). (٣).[١٣]

اما الرشيد في المعنى الاخر هو العاقل الذي يصيب الحق بل وتباعه فلا يكفي معرفة الحق دون الامتثال والانصياع له، لذا ورد الذم القرآني لمن يرغب عن الحق وأُعدّ سفيها لخفة عقله بتركه للحق قال تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا من سَفِهَ نَفْسَهُ) (٤). وقال سبحانه حاكيا عن قول الجن (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ

١- سورة الحجر اية ٦٨
٢- سورة النساء اية ٦
٣- سورة البقرة اية ٢٨٢
٤- سورة البقرة اية ١٣٠

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا). (١).

فمادام يهدي الى الحق فهو من الرشد ومن يتبعه فهو راشد بلا ريب، ومن يزيغ عنه فهو من السَفه ومن يتبعه فهو سفيه قال تعالى (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا). [٢][١٤]

وقال تعالى في شأن فرعون لما اعرض عن الحق واتبع هواه (فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) .(٣).

١- سورة الجن اية ٢
٢- سورة الجن اية ٤
٣- سورة هود اية ٩٧

وفي الآية عدة بحوث

البحث الأول:

- أوصاف قوم لوط في القرآن الكريم

ان الآية الكريمة وان لم تذكر طبيعة تلك السيئات التي كانوا يعملونها قوم لوط ولكن مع مراجعة الآيات في السور القرآنية التي تناولت قصة لوط يتضح ان المراد من السيئات هي اتيانهم الذكران قال تعالى (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) (١) والذكران جمع ذكر وقوله تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(٢) .١٥

وقد وصف القرآن الكريم قوم لوط بصفات كثيرة ونعوت مختلفة تعبر عن حقيقة بواطنهم الذميمة، وأعمالهم المشينة:

قوم عادون: قال تعالى (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) [٣] فإتيان الذكران يُعد تجاوزا وتعديا على النظام الكوني والفطرة الانسانية.

هم قوم مسرفون: قال تعالى (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)(٤).

والمسرف هو الذي تجاوز الحدود، وارتكب المحظور الذي لا ينبغي تجاوزه سواء كان شرعيا او أخلاقيا او كونيا.

قوم مجرمون: قال سبحانه (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)(٥) .

١- سورة الشعراء اية ١٦٥
٢- سورة النمل اية ٥٥
٣- سورة النمل ١٦٧
٤- سورة الأعراف اية ٨١
٥- سورة الأعراف اية ٨٥

والمجرم هو الذي اتى بفعل قبيح، ووزر كبير قال عز وجل (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى)(١) .

قوم ظالمون: قال عز وجل (مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)(٢) .

قوم يمترون: قال سبحانه (قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣)والامتراء من الريبة وهو الشك مع التهمة قال تعالى عنهم (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) (٤) (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) [٥]

قوم يجهلون: قال تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (٦) .

قوم يعمهون: قال سبحانه (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (٧) .[١٦]

يقال عمه شخص في أمره أي تردد وتحير، فقوم لوط بسبب سكرة الشهوة حيارى في دنياهم لا يهتدون سبيلا.) .[١٧]

قوم يفسقون: قال تعالى (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)(٨) .

١- سورة طه اية ٧٤
٢- سورة هود اية ٨٣
٣- سورة الحجر اية ٦٣
٤- سورة القمر اية ٣٦
٥- سورة النجم اية ٥٥
٦- سورة النمل اية ٥٥
٧- سورة الحجر اية ٧٢
٨- سورة العنكبوت اية ٣٤

وقوله تعالى (وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)(١) .

قوم يفسدون: قال سبحانه (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) (٢) .

البحث الثاني:

- **الشذوذ الجنسي وأثره التكويني في قطع النسل البشري**

ومن خلال هذه الأوصاف المشينة التي وردت في القرآن الكريم بحق قوم لوط والتي تعبر عن حقائقهم، وتكشف عن جرائمهم، يتضح لكل عاقل بشاعة أعمالهم التي انسلخت عن الانسانية حتى فاقت البهيمية.

لذا كان العقاب الالهي الذي نزل بحقهم عظيما وشديدا يتناسب مع عظيم الفاحشة وقبيح السيئة قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) .(٣) .. ١٨

ثم إن هذا السلوك المنحرف له تبعات كبيرة ومخاطر كثيرة على النظام الكوني فضلا عن اثاره السلبية على المجتمع والاخلاق.

فان اتيان الرجال شهوة من دون النساء هو قطع للنسل البشري وانعدام للحياة الانسانية قال تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ) (٤) .

ومع ان اللّه تعالى قد جعل عذابه الالهي اية وأثراً للناس لعلهم يخافون انتقامه قال تعالى (وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ) (١)

١- سورة الأنبياء اية ٧٤
٢- سورة العنكبوت اية ٣٠
٣- سورة هود اية ٨٢
٤- سورة العنكبوت اية ٢٩

وقال عز وجل (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (٢)
لكن لا يزال هذا السلوك المنحرف والشذوذ الجنسي يأخذ في الاتساع في العالم حتى وصلت الوقاحة والجرأة ان يطلق عليه بالزواج المثلي ويعترف به في كثير من البلدان، ويدافع عنه في منظمة حقوق الانسان، ويوضع له علم ترفع رايته في المحافل والأماكن العامة، وتفتخر الدول بتشريعه في القانون، وأصبح أمرا طبيعيا لا غبار فيه.[19]

قد أغمضوا هؤلاء عن كل النتائج السلبية التي تدمر النظام الكوني والاجتماعي والأخلاقي والصحي من اجل اشباع شهواتهم الحيوانية كأنهم مجانين لا يعقلون شيئا بحجة الحرية الشخصية.

عن الإمام الرضا (عليه السلام): علة تحريم الذكران للذكران والإناث للإناث، لما ركب في الإناث وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران الذكران والإناث الإناث من انقطاع النسل، وفساد التدبير، وخراب الدنيا (٣).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام - (لما سأله الزنديق عن علة تحريم اللواط -: من أجل أنه لو كان إتيان الغلام حلالا لاستغنى الرجال عن النساء، وكان فيه قطع النسل، وتعطيل الفروج، وكان في إجازة ذلك فساد كثير. (١)

وعن الإمام علي (عليه السلام): فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك... وترك اللواط تكثيرا للنسل (٢).

١- سورة الذاريات اية ٣٧
٢- سورة الصافات اية ١٣٧
٣- ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٨٠٦

المبحث الثالث:

- **الشذوذ الجنسي وأثره الصحي**

وان هذا السلوك المنحرف له اثار كثيرة على صحة الانسان، ففي مقال نُشر فيه عن احصائيات في منظمة الصحة العالمية جاء فيه (ان الشذوذ الجنسي يعتبر ابرز اسباب تفشي الأمراض المنقولة جنسيا وان ٦٣% من المصابين بالإيدز ٢٠% كانوا من الشواذ جنسيا، إضافة إلى مساهمة الشذوذ الجنسي في اعادة رفع قيم الإصابة ببعض الأمراض التي تمت محاصرتها سابقاً كالسيلان والهيربيس وغيرها من الامراض، مع ما يرافق صفة الشذوذ من ممارسات قاتلة كالإدمان على المخدرات والانتحار وغيرها[٢٠].

وفي تقرير أممي لها "تزايد انتشار الإيدز مجدداً بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع غيرهم من الرجال، خاصةً في البلدان الصناعية"، كما أشارت صدور بيانات تشير إلى وجود أوبئة جديدة، أو أوبئة تم اكتشافها حديثاً، بين تلك الفئة في أفريقيا، وآسيا، ومنطقة البحر الكاريبي، وأمريكا اللاتينية.

وأصدرت المنظمة مؤخراً، بالتعاون مع هيئات شريكة لها، عدداً من التوصيات الصحية تركز تحديداً على فئتي الرجال المثليين والمخنثين والمسترجلات، لعلاج أمراض هؤلاء الفئة من الناس، المتصلة بفيروس الإيدز والعدوى المنقولة جنسياً.

١- نفس المصدر
٢- نفس المصدر

وفي موقع منظمة الصحة العالمية جاء فيه (تشير التقديرات إلى وجود ٣٧٤ مليون إصابة سنوية جديدة بواحد من الأنواع الأربعة التالية للعدوى المنقولة جنسياً، المتدثّرة والسيلان والزهري وداء المُشعَّرات.

تشير التقديرات إلى أن أكثر من ٥٠٠ مليون شخص ممن تراوح أعمارهم بين ١٥ و٤٩ عاماً مصابون بعدوى تناسلية بفيروس الحلأ البسيط) .

وفي عام ٢٠١٨، ارتبطت عدوى فيروس الورم الحليمي البشري بحدوث ٥٧٠ ٠٠٠ حالة سرطان في عنق الرحم، وأكثر من ٣١١ ٠٠٠ حالة وفاة جراء الإصابة بسرطان عنق الرحم كل عام.

وتشير التقديرات بأن هناك ما يقارب ١ مليون امرأة حامل مصابة بالزهري.

تؤثر العدوى المنقولة جنسياً تأثيراً مباشراً على الصحة الجنسية والإنجابية من خلال الوصم والعقم وأنواع السرطان ومضاعفات الحمل، ويمكن أن تزيد من خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية.

البحث الرابع:

- الرشد في المنظور الإسلامي

تختلف الرؤية الإسلامية عن الرؤية الإنسانية الوضعية في كثير من القضايا وخاصة عند الذين لا يدينون بدين الإسلام، فما يراه الإسلام قبيحا ومنكرا، يراه الاخر جميلا وحسنا.

وهذا الاختلاف بطبيعة الحال راجع الى البعد الإلهي والبعد الإنساني فما يراه الاله ليس كما يراه منكر الإله، والمستخف بتعاليم السماء.
فالقوانين الإلهية نابعة من مصالح كثيرة تصب في مصلحة الانسان وفي شتى مجالاتها وابعادها، بينما القوانين الوضعية والأفكار الإنسانية تحكمها اهواء نفسية ومصالح شخصية ونظرة ضيقة ومحدودة فنظرة الإنساني المادي تتقوقع في الجوانب المادية والشهوية وظاهرية.
وهذا الاختلاف سيعكس بظلاله على فهم وتفسير القضايا الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية.[21]
فالإسلام مثلا يطلق على المؤمن المتقي بانه رشيد وعاقل لأنه أبصر الحق واتبعه ولم يتبع الهوى فعن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل).(١).
بينما العاقل في نظر الماديين له تفسيرات مغايرة ومباينة تماما عن النظرة الإسلامية، فالحق عند هؤلاء ما ينساق ويتماشى مع رغباتهم وشهواتهم وميولهم النفسي والجنسي وان كان مخالف مع فطرتهم السليمة.
فمثلا مفردة الشذوذ فهي تدل على ان هذا الشيء شاذ عن القاعدة ومخالف عما هو مألوف ومعتاد لدى اذواق وطبيعة المجتمع الإنساني، ولذا يطلق عليه انه شاذ.

الكافي ج ١ ص ١١

وهذا الشذوذ بطبيعة الحال لم يتأت من فراغ وعبث انما بسبب مخالفته لسنة الحياة، والطبيعة البشرية.

فاللواط هو شذوذ جنسي مخالف لطبيعة وتكوين الانسان وناهيك عن اثاره الخطيرة والكثيرة والمتنوعة، ومرفوض عقلا وفطرة وانسانيا، ومع ذلك يغض الطرف عنه وتوضع له صبغة جمالية من المفردات والمسميات المهذبة، والفاظ وعناوين براقة، وتخلق له مبررات كثيرة حتى يتماشى مع المجتمع والحياة كلفظة الزواج المثلي وانه من الحرية الشخصية وينبغي التعاطف مع هذه الشريحة الشاذة عن قانون الطبيعة.

فالإسلام ينظر الى هذا السلوك الشاذ والمنحرف، على انه نابع من الفسق والشهوة وخفة العقل، ولا ينم عن الرشد الانساني.

ولذا نلاحظ التوبيخ والاستنكار من نبي الله لوط لقومه قال تعالى (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) .

أراد بذلك تحريك عقولهم وايقاظ قلوبهم وارجاعهم الى فطرتهم السليمة والى الأعراف والأخلاق الإنسانية، ولكن الهوى يعمي البصيرة، ويستحوذ على النفوس المريضة، فتنقلب الموازين الأخلاقية والعرفية والإنسانية ويصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا، عن ابن صدقة، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) أن النبي صلى الله عليه وآله قال: كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبانكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشر من ذلك؟

كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف، قيل يا رسول اللّه ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا.(١).

ومن المبكي ان تعاليم الديانة المسيحية تحرم عمل قوم لوط لكن تجد علمائهم في حالة من الارباك في مواقفهم امام هذا الانحراف الإنساني الواضح.[٢٢]

فمن جهة اصطدامهم مع احكام دينهم التي لا تسمح بفعله وتندد به.

ومن جهة أخرى يخشون ردة فعل المجتمعات الاوربية والمنظمات الدولية والمدنية من انتقاداهم إذا ما حرموا التعاطي مع اللواط بل حتى يتعرضوا للمساءلة في المحاكم حتى ولو كان المنتقد له شخصا مسؤولا كبيرا في الدولة.

وهذا ما حصل بالفعل مع وزيرة الداخلية في فنلندا كما تناقلتها الاخبار فقد جاء فيها:

بدأت مؤخراً محاكمة وزيرة الداخلية الفنلندية السابقة بايفي راسانين بتهمة نشر خطاب كراهية ضد المثليين بعد تصريحات قالت فيها إنها تستند إلى الإنجيل.

وتوجه النيابة لراسانين اتهامات الإدلاء بتصريحات مهينة تكررت ثلاث مرات، بما في ذلك تغريدة نشرتها على حسابها على تويتر في ٢٠١٩ وكانت الصور المرفقة بالتغريدة تحتوي على نصوص من الإنجيل.

١- بحار الانوار ج٥١ ص ١٨١

وحملت التغريدة سؤالا عن سبب دعم الكنيسة اللوثرية الفنلندية لأسبوع فخر فنلندا. وكانت الصور المرفقة بالتغريدة تحتوي على نصوص من الإنجيل يبدو أنها تصف المثلية الجنسية بأنها أفعال مشينة.

ونفت الوزيرة السابقة الاتهامات الموجهة إليها، معلنة أنها لا تزال مقتنعة بما جاء في تصريحاتها السابقة. ودخلت راسانين إلى المحكمة، تحمل في يدها نسخة من الإنجيل، وقالت إنها تشرفت بالدفاع عن حرية التعبير والدين. وأضافت "آمل أن يتضح للجميع اليوم أنني لا أرغب في الإساءة إلى أي جماعة، لكنها مسألة إنقاذ الناس من أجل الحياة الأبدية".

وقال النائب العام الفنلندي عندما أعلنت تلك الاتهامات للمرة الأولى في أبريل الماضي، إن راسانين أدلت بتصريحات من شأنها أن تثير التعصب، والازدراء والكراهية ضد المثليين.

وستتخذ المحكمة القرار بشأن الاستشهاد بنصوص من الإنجيل، الذي يعتبر جرماً في بعض الحالات في فنلندا.

يذكر أن بايفي راسانين كانت وزيرة الداخلية في فنلندا في الفترة بين ٢٠١١ و ٢٠١٥.

الآية الثانية

قال تعالى (اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). (١)[٢٣]

سُنة إلهية تحمل في ثناياها العبر

الآية تتحدث عن سنة إلهية جارية وقاهرة على كل نفس وهي توفيها حينما يحين أجلها، وفي الآية عدة لطائف مهمة:

الأولى: ان الآية المباركة بدأت باسم الجلالة (اللّه) في مسالة توفي الانفس لدلالة بأن توفيها بيده تعالى على نحو الاستقلال، وأما غيره كالملائكة فهم موكلون بقبض الأنفس على نحو الايكال قال تعالى حاكيا (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (٢).

وقال سبحانه (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ).(٣)

فاللّه تعالى هو القاهر فوق عباده، بيده ناصيتهم، ومن حكمته جعل ملائكة موكلين من لدنه بقبض الأرواح، وهم بأمره يعملون (قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للّهِ) (٤) (بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ). (٥)

١- سورة الزمر اية ٤٢
٢- سورة السجدة اية ١١
٣- سورة الانعام اية ٦١
٤- سورة ال عمران اية ١٥٤
٥- سورة الأنبياء اية ٢٧

الثانية: والتوفي مأخوذ من الاستيفاء وهو أخذ الشيء بتمامه من دون نقيصة قال تعالى (وَإِنمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القيامة) (١) فيوم القيامة عند الحساب كل نفس تجزى وتوفى اجرها بما كسبت في دار الدنيا من عمل دون زيادة او نقيصة قال عز وجل (الْيَوْمَ تجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بمَا كَسَبَتْ ۚ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ (٢).

وقال سبحانه (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ) (٣).

ولذا يقال اخ وفيٌّ لأنه يصون ويحفظ عهد الاخوة من دون خيانة، ويقال زوجة وفيّة لأنها تعاشر زوجها بالحسنى والطاعة والصبر من دون خيانة ونشوز، ويقال استوفى الرجل دينه حينما يرد ما عليه من الدين بتمامه من غير نقيصة الخ.[٢٤]

إذاً فالله تعالى حينما يتوفى الانفس يأخذها من دون ان يترك في النفس نَفَسًا واحدا، ولا يستثني من الموت احدا قال تعالى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (٤)والمراد بالساعة لحظة وقال سبحانه (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت).(٥)

الثالثة :وقدرة الله في توفي الأنفس قاهرة بحيث لا توجد اي قدرة أخرى تحول دون ذلك، سواء كانت من الملائكة او من الإنس أو البروج

١- سورة ال عمران اية ١٨٥
٢- سورة غافر اية ١٧
٣- سورة النور اية ٢٥
٤- سورة الأعراف اية ٣٤
٥- سورة النساء اية ٧٨

المشيدة، فقدرته تعالى هي القاهرة فوق عباده قال عز وجل (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) , (١).

الرابعة: النوم تُؤم الموت ولكن له حيثياته الخاصة، فكل إنسان يناله الموت كل يوم عند نومه ولكن بنسبة أضعف وتبقى الروح مع الجسد لا تنقطع عنه.[٢٥]

الخامسة: فإذا جرى قلم القضاء على نفسٍ بالموت أمسكها أي قبضها فنالها الموت، ومن لم يجر عليها بعد، فترسل الاخرى فتجول في عالم الرُؤى والأحلام حتى يأتيها أجلها ولو بعد حين قال عز وجل (فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ (٨٣) إلى أن قالت الآية (فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ). (٢)

السادسة: وهذه السنة الالهية القاهرة لم تكن عبثية إنما هي آيات ودلائل على قدرة الله في المخلوقات، وحتى يتفكر الإنسان بأن روحه في قبضة الرحمن، وأنه تعالى يميته في منامه كل يوم، فيا أيها الانسان لا تغتر بالحياة الدنيا، واستعد ليوم فقرك وفاقتك.

فما يحول دون موتك في المنام سوى ان الأجل لم يحن بعد، وله أجل مسمى، وانه في اي لحظة قد ينزل القضاء ولات حين مندم قال تعالى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تحيدُ) (٣) وقال سبحانه (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا

١- سورة النساء اية ٧٨
٢- سورة الواقعة اية ٨٦
٣- سورة ق اية ١٩

حَسۡرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وهم يحملون أَوۡزَارَهُمۡ عَلَى ظُهُورِهِمۡ ۚ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) . (١)

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه: ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات فإذا وجد الانسان قد نفد أجله، وانقطع أكله، ألقى عليه الموت فغشيته كرباته، وغمرته غمراته ، فمن أهل بيته الناشرة شعرها ، والضاربة وجهها ، الصارخة بويلها ، الباكية بشجوها فيقول ملك الموت : ويلكم مم الفزع ؟ وفيم الجزع ؟ والله ما أذهب لأحد منكم مالا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت، وإن لي إليكم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدا .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم ، وبكوا على نفوسهم، حتى إذا حمل الميت على نعشه، رفرف روحه فوق النعش ، وهو ينادي : يا أهلي وولدي ، لا تلعبن بكم الدنيا ، كما لعبت بي جمعته من حله ومن غير حله، وخلفته لغيري ، والمهنا له، والتبعات على فاحذروا من مثل ما نزل بي [٢٦](٢) .

السابعة: أن المتوفي هو الله تعالى الذي يتوفى الأنفس والمتوفى هو الإنسان ذكرنا هذه الفائدة لكثرة ما يقع الخلط فيهما عند العامة، فحينما يموت شخص قالوا من المتوفي؟ والصحيح من المتوفى؟ لان المتوفي هو الله سبحانه.

١- سورة الانعام اية ٣١

٢- بحار الانوار ج ٧٩ ص ١٨٤

• **بحث في أهمية وفوائد ذكر هادم اللذات**

ان المداومة على ذكر الموت وما بعد الموت من أهم العوامل المؤثرة في جلاء وصقل القلب من الرين والغفلة، وهو خير معين في ردع النفس عن اقتحام المحرمات باعتبار ميل النفس الى الشهوات واللذات وان كثرة ذكر الموت ينير العقل ويحيي القلب فيهدم اللذات ويضعف النفس عن الميول لمتع الحياة وكذلك ان كثرة ذكر الموت خير سبيل لمحبة اللّه سبحانه لعبده، فقد ورد عن رسولنا الكريم(صلى اللّه عليه وآله):أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فقيل : يا رسول اللّه فما هادم اللذات ؟ قال: الموت ، فإن أكيس المؤمنين أكثرهم ذكرا للموت ، وأشدهم له استعدادا.(١) وروي عنه (صلى اللّه عليه وآله):من أكثر ذكر الموت أحبه اللّه .(٢).

أن طالب الدنيا منهوم لا يشبع وساع لا ينصب، وجذوة الحرص على نيل متع الحياة الدنيوية لا يبرد لهيبها ، وطول الامل في البقاء ساكن القلوب ، والإحساس بالظمأ والوله في الحياة يزداد شغفا وترّسخا في النفس كلما طال بالإنسان العمر ، فلا يشعر بالملل والكلل والشبع، روي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا، فأما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن ، وأما طالب الدنيا فيتمادى في الطغيان)(٣) وروي عنه(صلى اللّه عليه وآله) وروي انه

١- ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٩٦٥
٢- وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٣٤
٣- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٠٧١

قال : يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان : الحرص على المال ، والحرص على العمر .(١) .

ولذا يأتي دور وفاعلية كثرة ذكر الموت لكي يزيل الصدأ والغبار الغليظ التي تعلق على القلب فيطّهره من تلوثه ومرضه ويرفع الغطاء والغشاء على عين القلب ليرى بواطن الدنيا الكاذبة على حقيقتها وأنها لتأخذه بزمامها وحبائلها لتلقيه إلى دركات الجحيم، روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) انه قال: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن.(٢).

ان كثرة ذكر الموت هو اعادة حساب ولملمة الاوراق والقضاء على التخدير والسبات الحاصل نتيجة الانكباب على الدنيا والإغفال عن الاخرة قال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقون) (٣)

ان الآية المباركة تريد تحريك وتنشيط فكر المؤمن ليتفكر ويتدبر في نفسه ويسألها ماذا قدمتِ واعدتِ لأخرتِك يوم فقرك وفاقتك؟ والإعداد والاستعداد انما يتحقق بالتقوى والعمل الصالح ، وان الإعراض عن التقوى هو نسيان لله تعالى وبالأحرى هو نسيان للنفس فالذي لا يسعى للتزود بالعمل الصالح ليوم فاقته ويبقى يعيش النسيان

١- كتاب الخصال ص ٧٣
٢- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٦١٦
٣- سورة الحشر اية ١٩

والاهمال لتلك المواقف الشديدة فقد زجّ نفسه في زمرة المنسيين في يوم القيامة قال تعالى (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)(١) وقال سبحانه (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .(٢) .

فهذا النسيان حقيقته أن الفرد خرج وفسق عن نواة الشريعة وتعاليمها، ودوافع الفسق وعلله ناتجة بسبب الإقبال الى الدنيا وزخارفها الخداعة وان من اهم الوسائل والعوامل للإيقاظ النفس وإشعاع النور في القلب الغافل وإرجاعه الى جادة الصواب التي لا اعوجاج لها هو كثرة ذكر الموت وأهواله وما بعد الموت.

فإذاً فكثرة ذكر الموت هو بمثابة أجراس تحذير وتنبيه للغافل والضال كالذي يمشي في ليل مظلم بغير إنارة ودليل وقد أضل الطريق وأمامه منحدر خطير لا سبيل له من النجاة اذا ما استمر بالمسير ثم يسمع اجراسَ تحذير تنذره بالهلاك فيتقهقر ويسلك طريق النجاة فيشرق له نورٌ من البعيد ذلك النور هو نور النجاة فتنتابه النشوة والسعادة والفرح لأنه صان نفسه من الهلكة، ونجّاها من السقوط في الردى.[٢٩]

نعم فذكر الموت له فاعلية كبيرة في التأثير لمن القى سمعه ، وفتح قلبه ، وخشي ربه وخاف من فجأة الموت، وشدة صولته ، وعظيم نزوله ومورده ، لا يفّرق بين الشريف والوضيع ، وبين الصغير والكبير ، وبين الصحيح والسقيم كلهم عنده على حد سواء ومن كلام لأمير المؤمنين عليه

١- سورة الجاثية اية ٣٤
٢- سورة السجدة اية ١٤

السلام لمحمد بن بكر حين قلدّه مصر قال له : ... فَاحْذَرُوا عِبَادَ اَللّهِ اَلمَوْتَ وَقُرْبَهُ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدّتَهُ فَإِنّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيْرٍ لاَ يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً أَوْ شَرٍّ لاَ يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى اَلجَنّةِ مِنْ عَامِلِهَا وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى اَلنّارِ مِنْ عَامِلِهَا وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ اَلمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلّكُمْ اَلمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ اَلدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحَرُّهَا شَدِيدٌ وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَ لاَ تُفَرّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدّ خَوْفُكُمْ مِنَ اَللّهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا فَإِنّ اَلعَبْدَ إِنمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنّهِ بِرَبّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْهُ وَإِنّ أَحْسَنَ اَلنّاسِ ظَنّاً بِاللّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً للّهِ .(١)[٣٠]

من المؤسف أن جملة من أهل الدنيا يتطيرون من الموت وذكره فإذا ما قام فرد بتذكيرهم بالموت والقبر وظلمته ووحشته، قطعوا عنه حديثه ودعوه بتغيير موضوعه وكلامه او لوّوا وجوههم عنه، لا يريدون ان يوقظهم من احلامهم الكاذبة ودنياهم الزائلة، هؤلاء يتطيرون ويخافون من ذكر الموت فكيف إذا نزل بساحتهم وهم معرضون؟ وكيف بهم اذا حلّ بواديهم ولم يستعدوا ويعدوا له مؤونته وعدته؟ اما المؤمن الذي كان الموت شغله الشاغل خشية ان يرميه بسهمه الموتور في أي لحظة فيورده الهلكة فقد شمّر عن ساعديه وراح يعد له عدته ويحمل له زاده لعلمه وايمانه بانه مقبل على سفر طويل محفوف بالمخاطر والعقبات ينقطع

١- نهج البلاغة ج٣ ص ٢٨

فيه العمل ولا يفيد الندم قال تعالى (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) . (١)

روي عن الإمام علي (عليه السلام) – من وصاياه لابنه الحسن (عليه السلام) –: أكثر ذكر الآخرة، وما فيها من النعيم والعذاب الأليم فإن ذلك يزهدك في الدنيا ويصغرها عندك، وقد نبأك الله عنها، ونعت لك نفس.(٢) ..[٣١]

اذاً فذكر الموت يعطي حافزا للتذكير والتفكير بأن ينظر الإنسان أنه سيقف بين يدي الله تعالى ويحاسب على ما قدّم وأخر وان الموت هو الفاصل والمائز أما سعادة أبدية أو شقوة أبدية فهذا التذكير والمحاسبة يكون له عامل محركية وعامل زجرية أما عنصر المحركية فيجعله يتحرك وينبعث نحو الإتيان بالأعمال الصالحة التي تمّهد وتعبّد له آخرته والتي اليها منقلبه وفيها مستقره، واما عنصر الزجرية يجعله ينزجر عن الأعمال السيئة التي تتسبب له الوقوع في الهاوية ودركاتها فروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الموت الموت ! ألا ولابد من الموت، جاء الموت بما فيه ، جاء بالروح والراحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، وجاء الموت بما فيه بالشقوة والندامة وبالكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم .(٣).

١- سورة البقرة اية ١٩
٢- تحف العقول ص ١٧
٣- ميزان الحكمة ج ٩ ص ٣٢٧

- **بحث حول حقيقة الموت**

يظن الكثير من غير المسلمين ان بالموت تنعدم حياة الانسان، فلا حياة بعد هذه الحياة، وقد قال تعالى عن هؤلاء في كتابه الكريم(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ (١)[٣٢].

ولذا يعمد كثير ممن على هذه الشاكلة من العقيدة السطحية والفارغة من المحتوى، ولا تعتمد على دليل انما هي مجرد ظنون وشكوك كما عبر عنها القران الكريم الى وسيلة الانتحار ظنا منهم ان الموت راحة من هذه الحياة التي يعيشونها.

مع ان الموت ليس انعداما لروح الانسان انما هي عملية انتقال من عالم الى اخر وكل عالم له خصوصياته التي تختلف عن الاخر.

ففي عالم الدنيا يعيش الانسان ببدنه وروحه والبدن والروح يأخذان حظهما من الحياة اما بعد الموت يتلاشى ذلك البدن الانيق في القبر وتبقى الروح في عالم البرزخ اما ان تنعم بالسعادة او بالشقاوة الى قيام الساعة قال تعالى (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٢).

ومردّ هذا التفاضل الى ما قدم الانسان في الحياة الدنيا من عمل صالح او طالح، خير او شر.

١- سورة الجاثية اية ٢٤

٢- سورة المؤمنون اية ١٠٠

ومن الآيات التي تشير الى الحياة الكريمة والسعيدة للإنسان في عالم البرزخ او الحياة التعيسة والاليمة هو قوله تعالى (قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَقَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (١) .

ويراد بالجنة التي أُدخل فيها هذا المؤمن المجاهد الذي ضحى بنفسه من اجل الدعوة الى الله تعالى وهداية الناس الى الحق هي جنة البرزخ، لان جنة الاخرة تكون بعد قيام الساعة والحساب، وجنة البرزخ وما فيها من الكرامة تنالها الروح.[٣٣]

وقوله تعالى(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢).

والآية المباركة تتحدث عن أحوال الشهداء في عالم البرزخ وما نالهم من الرضوان والكرامة.

فالروح هي التي تنعم بهذه الكرامات الإلهية المعنوية من الرزق والفرح والبشارة.

وقوله تعالى في شأن فرعون(وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٣).

١- سورة يس اية ٢٧
٢- سورة ال عمران اية ١٧٠
٣- سورة غافر اية ٤٦

والآية واضحة الدلالة على ان المراد من النار هي نار البرزخ فلو كانت نار الاخرة لما قالت الآية (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ).

فاذاً فالموت الذي يصيب الانسان في عالم الدنيا ليس انعداما لروحه انما عملية انتقال من عالم الى عالم اخر أوسع منه.

فان الروح لا تنعدم من الوجود مطلقا وفي جميع العوالم أي عالم الدنيا والبرزخ والاخرة الا يشاء الله قال تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١)[٣٤].

فالروح مع البدن في عالم الدنيا، ثم تنتقل الى عالم البرزخ ثم الى عالم الاخرة اما في نعيم او في جحيم، وهناك شواهد قرآنية كثيرة على ذلك فضلا عن الشواهد الروائية.

فبعض الناس يتمنون الموت وهم لم يستعدوا لتلك الحياة البرزخية والاخروية بما يليق بها من عمل صالح حتى يسعدوا وينالوا الكرامة الأبدية التي لا تشوبها أي تعاسة وشقاوة قال تعالى(وَقَالُوا الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٢).

١- سورة هود اية ١٠٨

٢- سورة فاطر اية ٣٥

الآية الثالثة

قال تعالى (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١).

الاحسان يسمو بالإنسان

هذه الآية المباركة من الآيات الاجتماعية والأخلاقية وفيها جملة من صفات المتقين، نستلهم منها عدة دروس مفيدة، وفيها نكات لطيفة:

الأولى: أن الآية الكريمة وإن كانت في بيان ذكر بعض صفات المتقين من جهة الإنفاق وكظم الغيظ والإعفاء عن الناس لكنها تطوي في ثناياها التحضيض والحث بضرورة التلبس بهذه الصفات والأخلاق الفاضلة التي لها دور فعال وكبير في بث روح التعاون والتواصل، ونبذ الخلافات والتقاطع مع الناس.

إذاً فذكر هذه الأخلاق الفاضلة في كتاب الله العزيز إلا ويريدها سبحانه ويحبها ويحب من تخلق بها لما فيها من مصالح وفوائد جمة.

الثانية: أن حالة الإنفاق لدى هؤلاء المتقين مستمرة وفي جميع الظروف التي يعيشونها او يعيشها مجتمعهم فلا يمنعهم عائق من الإنفاق في سبيل الله سواء كانوا في حال الرخاء او الشدة.

فهم في حال الرخاء واليسر لا يغفلون أو يجحدون او يتكاسلون عن الانفاق وكذا في حال الضراء والعسر لا يبخلون أو يحجمون عن الإنفاق قال تعالى (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ). (٢)

١- سورة ال عمران اية ١٣٤
٢- سورة الحشر اية ٩

الثالثة: ومن صفات المتقين أنهم يكظمون غيظهم أي يحبسونه عند هيجانه بغية مرضاة الله عز وجل، وخشية سخطه، وتحلياً بأخلاق وسمات الصالحين، مع وجود موجباته الكثيرة.

الرابعة: أن كظم الغيظ عند المتقين هي ليست حالة نادرة، او مسألة عابرة، إنما هي من خُلُقِهم وسجيتهم، في بذل هذا الخلق الرفيع مع نوعهم على الدوام وليس على نحو الانقطاع، بمعنى أن هذا الخلق الرفيع مندك في سلوكهم وتعاملهم مع الناس وليست حالة استثنائية ونادرة.

الخامسة: ومن صفات المتقين أنهم يعفون عن الناس، والإعفاء بطبيعة الحال يكون من طرف صاحب الحق وهو المُعفي.

السادسة: أن الاعفاء عام وشامل بمعنى أنه لم يقتصر ويحدد لفئة معينة دون اخرى بل يشمل جميع الناس بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم فالعفو خلق محبوب ونابع من الإنسانية، وطالما تسبب في هداية الناس.

السابعة: أن المرء قد يكظم غيظه ولكن ليس بالضرورة أن يعفو عن حقه، وقد يعفو عن حقه ولكن بعد اللتيا والتي من الغيظ والغضب، وقد يتركهما معا فلا يكظم غيظه ولا يعفو عن حقه، بخلاف أخلاق المتقين التي وردت في الآية المباركة بكظم غيظهم وعفوهم عن الناس، والإحسان اليهم.

الثامنة: ان العفو والصفح عن الناس من اشرف مصاديق الإحسان، ومن اقرب موارد التقوى قال عز وجل (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تحِبُّونَ

أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(١) .٣٦وقال سبحانه (وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[٢] .

وأن فاعله يعد من المحسنين، وإن المعفو عنه قد أُحسن إليه بإسقاط الحق عنه من دون غيظ، سواء كان الحق مادياً كالدين أو معنويا كالغيبة.

التاسعة: ان المحسنين الى الناس بالعفو عنهم والاحسان إليهم باي وجه من وجوه البرّ لهم موضع محبة وعناية ولطف عند الله تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

العاشرة: ان من أحسن الى الناس فقد أحسن الى نفسه، لأنه قد جاهد نفسه، وأخس شيطانه، وأرضى ربه، وفرج همّاً، وادخل سرورا، ومهد لآخرته، قال تعالى (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ). (٣)

الحادية عشرة: أن هذه الأخلاق النبيلة لها دور فاعل وحيوي على النفس والمجتمع وفي تقوية العلاقات مع الناس ومع خالق الناس جل جلاله.

فليس جزافا ورود هذه الصفات الاخلاقية في القرآن الكريم إنما أريد سريانها في المجتمع الإسلامي حتى يسوده التواصل والتعاون والمحبة، وخاصة مع شيوع الإمساك عن الإنفاق قديما وحديثا مع وجود مستحقيه، وغلبة ملكة الغضب في النفوس، والمؤاخذة والمطالبة بالحقوق بين الناس لأدناها.

١- سورة النور اية ٢٢
٢- سورة البقرة اية ٢٣٧
٣- سورة الاسراء اية ٧

- **بحث حول ملكة الغضب**

ان الغضب من الملكات والقوى النفسية تثار وتستعمل عند الانتقام والبغي او عند الدفاع عن النفس او العِرض الخ.

والقوة الغضبية تعد من أعظم النعم الالهية المستودعة والمعجونة في تركيبة وذات الإنسان وهي كأخواتها من القوى الموضوعة تحت إرادة الإنسان فهو من يمتلك القدرة والسيطرة في لجم عنانها وكظم وضبط غيضها من خلال الترويض والتهذيب والتمرين على الحلم والصبر رروي عن امير المؤمنين (عليه السلام): من غاظك بقبح السفه عليك فغظه بحسن الحلم عنه.(١)وروي عنه (عليه السلام (إن لم تكن حليما فتحلم، فإنه قلّ من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم.(٢) .

أما في حال إهمالها وتركها وشأنها بلا راع ورقيب فلا ضير عند حدوث موجباتها وعللها تثور كالبركان الذي يتطاير حممه او كالثور الهائج يهاجم من يقف أمامه.[٣٧]

ان العواقب الوخيمة والمشاكل الجسيمة والمصائب الاليمة التي تنال على الغاضب والمغضوب عليه بل تنال حتى على من له رابطة أو علاقة بهما فحري بالعاقل الكيس أن يجتهد جهاد الأبطال وهمة وعزيمة الرجال في ارضاخ هذه القوّة تحت ارادته وسلطانه ولا يدع لها منفذا إلا وردمه ولا بابا إلا وسده روي عن علي (عليه السلام): من أطلق غضبه تعجل حتفه.(٣)

١- ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٣١٧
٢- نفس المصدر ج ١ ص ٦٨٦
٣- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٢٦٤

واذا اصبحت هذه القوة عدوانية يضعف المرء امامها وتكون مالكة ومقودة ويكون صاحبها عبدا مقادا تورده موارد الهلكة فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: الغضب عدو فلا تملكه نفسك.(١) .

وروي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال : قال رجل للنبي (صلى اللّه عليه وآله) : يا رسول اللّه علمني قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): لا تغضب ، فرمى السلام ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه ، فقال القوم : فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب .(٢) .[٣٨]

فالكثير من الحروب والصراعات العشائرية والمشاكل الاسرية وقطع الارحام.. وهلم جرا تجد لهذه القوة نصيبا كبيرا في ايجادها وحدوثها مع العلم ان هذه القوة ما وضُعت للتخريب والانتقام والاعتداء إنما للدفاع عن الحق وأهله وردّ الظلم والبغي فروي عن علي (عليه السلام) : كان (صلى اللّه عليه وآله) لا يغضب للدنيا ، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له .(٣) .

وقال تعالى حاكيا عن نبي اللّه موسى عليه السلام مع قومه لما عبدوا العجل (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي

١- نفس المصدر السابق
٢- بحار الانوار ج ٢٢ ص ٨٥
٣- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٦٩

مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١). ٣٩

وفي كتاب المحاسن: عن الصّادق، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين (عليهم السلام) قال: قال موسى بن عمران: يا ربّ من أهلك الّذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلاّ ظلّك؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم، والتربة أيديهم، الّذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربّهم، الّذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبيّ الصغير باللّبن، الّذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها، والّذين يغضبون لمحارمي إذا استحلّت مثل النمر إذا حرد.(٢)

اذاً فهي قوة فاعلة في حياة وطبيعة الانسان فلو لم تكن موجودة لما استطاع الإنسان أن يدافع عن دينه وعرضه وماله وغير ذلك.

فهذه النعمة العظيمة الذي حباها المولى عز وجل للإنسان أن اُهملت وتُرك لها الباب مفتوحا على مصراعيه فإنها تصول وتجول وتهلك الحرث والنسل روي عن علي (عليه السلام): الغضب نار موقدة، من كظمه أطفأها، ومن أطلقه كان أول محترق بها .(٣) .

اذاً لابد ان تكون إرادة الإنسان هي المشرفة والمسيطرة عليها أي على القوة الغضبية يسوقها لكل حق وصلاح.

١- سورة الأعراف اية ١٥٠
٢- بحار الانوار ج ٦٦ ص ٣٩١
٣- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٦٥

وان اهمالها وعدم ترويضها وتركها بلا رقيب وعتيد يعني تقديم وإيثار النوازع والشهوات النفسية على طاعة اللّه وغلق أبواب النجاة على النفس وفتح منافذ الهلاك عليها، وأن عدم ألاخذ بزمامها ولجامها ستكون النفس عرضة وألعوبة بيد الشيطان والسماح له ان يحتل حريم القلب ليسكن ويعشعش فيه، فيوقعه بالبلايا والمهالك مما لا يحمد عقباها فعن أمير المؤمنين عليه السلام: ، ظفر الشيطان بمن ملكه غضبه .(١) .٤٠

فما اكثر ما يكسر يستحيل او يعسر ان يجبر وكان من الممكن تفادي ما وقع لو كانت القوة الغضبية في قبضة صاحبها المؤمن ومالك زمامها، فيطلق عنانها الى كل حق ولكل خير ويمسكها عن كل باطل وعن كل شر فيكون هو الغالب عليها والظافر على الشيطان فعن أمير المؤمنين عليه السلام (ظفر بالشيطان من غلب غضبه.(٢).

إن لحظة غضب تُكلف المرء الكثير من المعاناة وتوقعه في العديد من الزلات والمتاهات، وان ذكر اللّه سبحانه واستشعار القلب للحضور الإلهي المطّلع والشاهد على أحوال العبد والخوف من غضبه وسخطه يكون عامل ردع للنفس من الغضب الذي يفضي الى الضرر وهتك الحرمات وإيقاع الاذى بالغير فان غضب اللّه تعالى وسخطه اشد وأعظم من غضب المخلوق الضعيف العاجز في دفع ما ينزل عليه من بلائه وعذابه، فكفّ النفس عن الغضب مخافة غضبه وسخطه يُنجيه ويؤمنه من سخطه وغضبه فضلا عن نيل رضاه وثوابه.

١- ميزان الحكمة ح ٣ ص ٢٢٦٦
٢- نفس المصدر السابق

فروي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) – لما سأله رجل أحب أن أكون آمنا من غضب اللّه وسخطه –: لا تغضب على أحد تأمن غضب اللّه وسخطه))١)وعنه (صلى اللّه عليه وآله): من كف غضبه كف اللّه عنه عذابه(٢)وعنه (صلى اللّه عليه وآله): إن العبد إذا ظُلم فلم ينتصر، ولم يكن له من ينصره، ورفع طرفه إلى السماء فدعا اللّه، قال اللّه: لبيك أنا أنصرك عاجلا وآجلا .(٣) . وعنه (صلى اللّه عليه وآله) يقول اللّه عز وجل: اشتد غضبي اللّه على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري))٤) وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام): لما حضر علي بن الحسين (عليهما السلام) الوفاة ضمني إلى صدره ، ثم قال : يا بنيّ اوصيك بما أوصاني به أبي (عليه السلام) حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال :يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا اللّه .(٥) .

١- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٦٨
٢- نفس المصدر
٣- ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٧٧٥
٤- نفس المصدر السابق
٥- الكافي ج ٢ ص ٣٣١

الآية الرابعة

قال تعالى (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ).(١)

الفقه والأخلاق

في رحاب آية جديدة نقف عليها بعقولنا وقلوبنا لكي نقتبس من هديها، ونستضيء من نورها وفيها جملة من الأحكام والفوائد:

الفائدة الأولى: أن ذكر مسألة عدم المؤاخذة من قبل الله تعالى في اللغو بالأيمان إشعارا بأن فعله مبغوض ومكروه وغير محبب عنده سبحانه، ولو لم يكن مكروها لم يحتج بالتعرض اليه، والامتنان به، بعدم المؤاخذة، ولبقيَ حكمُ المؤاخذة متعلقا بما كسبت القلوب ومختصاً به دون غيره ويدل عليه، النهي الوارد في قوله تعالى (وَلا تجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَينَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).[٢][٤٢]

الفائدة الثانية: عدم المؤاخذة لا يعني إزالة الآثار الوضعية الناتجة من فعل المكروهات فإن كل فعل سواء كان حسنا او سيئا مستحباً أو مكروها له أثره الوضعي يُصيب فاعله بغض النظر عن نوعية الحكم.

الفائدة الثالثة: عدم المؤاخذة مع مبغوضيته وكراهيته من قبل الله تعالى هو في غاية الحلم والامتنان والرحمة والدليل عليه ما جاء في مسك الختام في الآية الشريفة قوله تعالى (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) .

١- سورة البقرة اية ٢٢٥

٢- سورة البقرة اية ٢٢٤

الفائدة الرابعة: واللغو هو الكلام الذي لا فائدة منه، ولا نفع فيه، وفي نفس الوقت لا يخلو من ضرر وخلة، ولذا عُدّ المعرض عنه مؤمنا عاقلا وان فاعله ومؤتيه جاهلا لاغيا قال تعالى (وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ) (١) وقال سبحانه (وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ).(٢)[٤٣]

الفائدة الخامسة: أن المبغوضية ترتبت على اليمين اللغوي بسبب جعل الساحة القدسية عرضة للحديث والتداول بين الناس في الأشياء الشكلية والهامشية بل حتى في موارد البر والإصلاح وردت الكراهية في ذلك (وَلا تجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لأيمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَينَ النَّاسِ).(٣) .

فاللّه تعالى يُجلّ بأن يُجعل عرضة في الأمور اللغوية، والأشياء العبثية.

الفائدة السادسة: والأيمان بفتح الهمزة جمع يمين وهو القسم باللّه تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيمَانِهِمْ) .(٤)

ويستثنى من اليمين الشرعي الصحيح أمران: الأول هو اليمين اللغوي الذي لم يؤاخذ عليه لعدم انعقاد القلب، والثاني اليمين بغير اسم اللّه تعالى وبالتالي لا تترتب على ذلك الأحكام الإلزامية كالكفارة.

١- سورة القصص اية ٥٥
٢- سورة المؤمنون اية ٣
٣- سورة البقرة اية ٢٢٤
٤- سورة الانعام اية ١٠٩

الفائدة السابعة: وسمي اليمين لغوا لخلوه من انعقاد القلب عليه قال تعالى (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتمُ الأَيمَانَ),(١)

الفائدة الثامنة: يظهر ان القلب هو المحور والموضوع في جريان المؤاخذة من عدمها وان المؤاخذة منوطة به وبما كسب القلب قال تعالى (مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .(٢)

الفائدة التاسعة : والمؤاخذة عند انعقاد القلب على الأيمان بمعنى ان المكلف صار ملزما بالإيفاء باليمين ، ووجوب المحافظة عليه ، وحرمة الحنث به ، وترتب الكفارة عليه عند الحنث به (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتمُ الأَيمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).(٣).٤٤

الفائدة العاشرة: ان عدم المؤاخذة عند عدم انعقاد القلب على الايمان هو تفضل منه تعالى لسعة رحمته (وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) وان وجوب الكفارة على المكلف عند المؤاخذة هو احسان وكرم منه سبحانه تستلزم منا الشكر (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

١- سورة المائدة اية ٨٩
٢- سورة النحل اية ١٠٦
٣- سورة المائدة اية ٨٩

- **بحث حول عادة اليمين**

قلما نجد أناسا يتورعون عن الايمان بالله تعالى في حديثهم اليومي، فان الغالبية الساحقة منهم لا يكفون عن الحلف بالله عز وجل وفي أدنى المسائل والمواضيع.

فحينما يشعر المؤمن بعظمة خالقه وانه جبار السماوات والأرض لا يجعل اسمه الشريف في كلامه الدنيوي مع الناس.

فما دام الانسان صادقا مع ربه ومع نفسه ومع الاخرين فيتكلم حينها بثقة وعفوية مع الاخر سواء صدقه او كذبه، المهم التورع عن الايمان بالله في حديثه.

ان عادة الحلف بالله مسالة مذمومة ومكروهة وخاصة اذا ما كانت المسالة هامشية وبسيطة الا في حالات ضرورية ومهمة ويتوقف عليها دفع ضرر او اثبات حق فلا يكره حينها، وقد تصل المسالة الى الوجوب. فهذه العادة للأسف منتشرة بشكل كبير في أوساط المجتمع الإسلامي ، وان اكثر الناس يعانون ويشتكون منها ولكن الانسان المؤمن عليه ان ينتبه الى نفسه ويراقب كلامه وبالتدريج يمكنه تجاوزها ..[٤٥]

ان أي عادة مهما كانت متجذرة في سلوك الانسان، واعتاد عليها ردحا من الزمان، يمكنه التخلص منها مادام في عالم الإمكان، وتسلح بالعزيمة وقوة الايمان، وقبل فوات الأوان يقول امير المؤمنين(عليه السلام): أيها الناس! تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) (١)

١- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢١٩٠

وعنه (عليه السلام): أفضل العبادة غلبة العادة.(١) .

وعنه (عليه السلام): بغلبة العادات الوصول إلى أشرف المقامات.(٢) .

وعنه (عليه السلام): غالبوا أنفسكم على ترك العادات تغلبوها، وجاهدوا أهواءكم تملكوها .(٣) .

وعنه (عليه السلام): غيروا العادات تسهل عليكم الطاعات.(٤) .[٤٦]

وعنه (عليه السلام): ذللوا أنفسكم بترك العادات، وقودوها إلى فعل الطاعات، وحملوها أعباء المغارم، وحلوها بفعل المكارم، وصونوها عن دنس المآثم.(٥) .[٤٧]

وقال (عليه السلام :(تخير لنفسك من كل خلق أحسنه، فإن الخير عادة، تجنب من كل خلق أسوأه، وجاهد نفسك على تجنبه. (٦) .

١- نفس المصدر السابق
٢- نفس المصدر
٣- نفس المصدر
٤- نفس المصدر
٥- نفس المصدر
٦- نفس المصدر

الآية الخامسة

قال تعالى (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. (١)

فقه وأخلاق اجتماعية

يبقى القرآن الكريم كتابا مربيا للنفوس، وهاديا الى الحق، يضع الحلول، ويصف الدواء، في أبلغ عبارة، وأجمل صورة وفي الآية المباركة جملة من الأحكام والفوائد المهمة:

الفائدة الأولى: عناية الهية، ورحمة واسعة، وقول حكيم، تتجلى هذه العناية من رب عليم، بحال عبده الفقير، رحيم به من نفسه، حكيم بما يقضي له في أمره، الذي تعسّر عليه إيفاء دينه، بسبب فقره ومحنته ، قال عز وجل (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ),(٢)[٤٨]

الفائدة الثانية: النظرة هو الإمهال والتأجيل والعسر يقابل اليسر، فإذا تعسّر على المدين ايفاء دينه بسبب ظروفه الصعبة وجب على الدائن إمهاله لحين الميسرة والإمكانية، وهذا حكم إلزامي على الدائن فلا يجوز له التشديد والمطالبة بماله وان حان اجله فعن رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله): كما لا يحل لغريمك أن يمطلك وهو موسر، فكذلك لا يحل لك أن تعسره إذا علمت أنه معسر. (٣).

١- سورة البقرة اية ٢٨٠
٢- سورة البقرة اية ١٨٥
٣- ميزان الحكمة ح ٣ص ٢٥٥٠

الفائدة الثالثة: فإن لم يكن المدين ذا عسرة وحان موعد إيفاء الدين وجب عليه إيفاء دينه إلى الدائن من دون مماطلة وتأخير قال تعالى (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ) (١) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُود) (٢).

فعن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله :(من يمطل على ذي حق حقه وهو يقدر على أداء حقه فعليه كل يوم خطيئة عشار.(٣) .

الفائدة الرابعة: وأفضل من امهال المدين الى ميسرة هو الاعفاء بإسقاط الحق المترتب في ذمة المدين وجعله اي الحق والدين صدقة يثاب عليه الدائن (وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ).

وهذا الخير نتيجة ما تستتبعه الصدقة من آثار ونتائج كثيرة من التراحم والتواصل والإحسان إلى الناس، وتقوية العلقة بين المؤمنين ونيل الثواب والمحبة الإلهية قال سبحانه (إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) (٤) (وَاللّهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ). (٥).[٤٩]

الفائدة الخامسة: أن الآية المباركة تريد أن تنبه المؤمنين، وتُلفت انتباههم الى مسالة اجتماعية وأخلاقية مهمة والتي ينبغي أن يعلموها ويرعوها وهي مسألة التصدق بإسقاط الحق عن ذمة المدين المعسر لما فيها من خير لهم، لأن التصدق على المدين المعسر الذي تعسّر عليه الإيفاء دينه بسبب ظروفه المعيشية الصعبة التي حلت به فان لها

١- سورة البقرة اية ٢٨٣
٢- سورة المائدة اية ٣
٣- ميزان الحكمة ج ٢ ص ٩٥٩
٤- سورة يوسف اية ٨٨
٥- سورة ال عمران اية ١٣٤

انعكاسات ايجابية كثيرة ومهمة على روح وايمان المتصدق والمتصدق عليه، التي يجب أن لا تغفلوا عنها لما فيها من معطيات ايمانية واخلاقية واجتماعية

الفائدة السادسة: أن التوجيه القرآني في الآية المباركة حيث أكدت على مسالة الامهال او التصدق هو توجيه وخطاب تربوي الغاية منه تربية الإنسان والمجتمع على الأخلاق الحميدة وبث روح التسامح والتعاون والترفع عن التعامل التجاري المحض، والحق المالي، فإن التصدق وإن لم يكن واجبا على الدائن ولكن الآية اشارت اليه لما فيه من خير له، فلا ينبغي تجاهله والإعراض عنه لفوائده الكثيرة قال تعالى (وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) [١].٥٠

عن رسول الله (رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أنظر معسرا كان له على الله في كل يوم صدقة بمثل ما له عليه حتى يستوفي حقه (٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله): من أنظر معسرا أظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله (٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله) – لما دخل المسجد –: أيكم يسره أن يقيه الله عز وجل من فيح جهنم؟ قلنا: يا رسول الله كلنا يسره، قال: من أنظر معسرا أو وضع له وقاه الله عز وجل من فيح جهنم (٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله): من أقرض مؤمنا قرضا ينتظر به ميسوره كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه إليه (٥).

١- سورة البقرة اية ٢٣٧
٢- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٥٥٠
٣- نفس المصدر
٤- نفس المصدر
٥- نفس المصدر

وعنه (صلى اللّه عليه وآله): من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة (١).

وعنه (صلى اللّه عليه وآله): من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر (٢).

وعنه (صلى اللّه عليه وآله): خذ حقك في عفاف واف أو غير واف (٣).

وعنه (صلى اللّه عليه وآله): اتقوا دعوة المعسر (٤).

وعنه (صلى اللّه عليه وآله): حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال اللّه تعالى: نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه (٥).[٥١]

١- نفس المصدر السابق
٢- نفس المصدر
٣- نفس المصدر
٤- نفس المصدر
٥- نفس المصدر

الآية السادسة

قال تعالى (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً ويدرؤون بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار). (١)

إخلاص والتزام وعمل

مجموعة من الصفات الحميدة، والأعمال الصالحة ذكرتها الآية المباركة حيث تحتوي على برنامج تربوي أخلاقي واجتماعي وتقربي وفيها عدة من الفوائد المهمة:

الفائدة الأولى: تقديم الصبر على بقية الصفات والأعمال لأنه هو الاساس فيهن ومن دونه يتعذر الثبات والظفر بهن، لأنهن يتوقفن على قوة الإيمان والإيمان متوقف على قوة الصبر قال أمير المؤمنين (عليه السلام): والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد. ولا إيمان لمن لا صبر له. (٢)[٥٢]

ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى (الصّابِرِينَ وَالصّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ).(٣) وقوله تعالى(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ)(٤) (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا)(٥).

١- سورة الرعد اية ٢٢
٢- تحف العقول ج ٢ ص ٢٨١
٣- سورة ال عمران اية ١٧
٤- سورة القرة اية ٤٥
٥- سورة السجدة اية ٢٤

الفائدة الثانية: اول ميزة وصفة اساسية لقبول العمل هو الإخلاص في الصبر والعمل ويتحقق ذلك بابتغاء وجه الله دون سواه، فلا ينفع الصبر إذا لم يُبتغ به وجه الله تعالى، فقد يقع الصبر من الإنسان ولكنه يبتغي مقاصد دنيوية بحتة، وقد يخلط بصبره ما لله وغيره وهذا شرك خفي ومردود فعن علي بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال الله عز وجل: أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصا. (١)[٥٣]

الفائدة الثالثة: المراد من الوجه في الآية المباركة هي الجهة والمقصد الذي يتوجه إليها العبد في العمل لابتغاء مرضاة الله تعالى، وليس المراد من الوجه في الآية الوجه المادي كما في الانسان فالله سبحانه منزه عن الجسمية لافتقارها الى الحدود والمكان، واحتياجها الى التركيب والله غني عن كل ذلك قال تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).(٢) .

الفائدة الرابعة: والرب من الصفات الفعلية لله تعالى، فالله عز وجل هو الذي يربي خلقه وعباده من خلال أحكامه وتعاليمه وأوامره ونواهيه.

فكل ما ذكر في الآية من الأعمال الصالحة والتي يأتي بها العبد ابتغاء وجهه تعالى هي لها أصل في كتابه الكريم وقد حثّ الله عليها كقوله تعالى في مسالة الاخلاص (أَلا للّهِ الدِّينُ الخَالِصُ) (٣) وفي اقامة الصلاة والإنفاق سرا وعلانية قوله تعالى:

١- الكافي ج ٢ ص ٢٩٥
٢- سورة الشورى اية ١١
٣- سورة الزمر اية ٣

(قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ) (١). وفي درأ السيئات قوله تعالى (إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ). (٢)

فإذاً كل ما ذكر في الآية الكريمة من صفات المؤمنين هو يصبّ في مصلحة عبده، ويربي أخلاقه، ويدبر أمره.

الفائدة الخامسة: تدخل في مسالة إقامة الصلاة هي إقامة حدودها وشرائطها وآدابها كالمحافظة على أوقاتها، والخشوع فيها وان تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر والإخلاص فيها.

فلا يختصر على ادائها قال تعالى (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (٣) . وقوله عز وجل (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) (٤) (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي). (٥).[٥٤]

الفائدة السادسة: وأن المؤمنين في ديمومة واستمرارية في اقامة الصلاة من دون تبعيض وترك لصلاتهم ولعل قوله تعالى (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) (٦) فيه اشارة الى هذا المعنى اي الدوام في الصلاة، خلافا لما يفعله بعض الناس من التبعيض في صلاتهم حسب مزاجهم ورغباتهم فتارة يصلون وأخرى يتركون.

١- سورة إبراهيم اية ٣١
٢- سورة هود اية ١٠٤
٣- سورة المؤمنون اية ٢
٤- سورة العنكبوت اية ٤٥
٥- سورة طه اية ١٤
٦- سورة المعارج اية ٢٣

الفائدة السابعة: ومن أخلاقهم وصفاتهم أنهم ينفقون من أموالهم في سبيل الله لإعانة الفقراء وذوي الحاجة، على نحو القوام الحسن قال تعالى (وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (١)خشية الملامة والندامة بسبب سوء الانفاق قال سبحانه (وَلا تجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ الۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا). (٢)

الفائدة الثامنة: ان المال الذي ينفق لكي يقبل عند الله ويؤجر عليه المنفق لابد ان يكون حلالا ومن اسبابه المشروعة وان قوله تعالى (ممَّا رَزَقۡنَاهُمۡ) فيه اشارة الى الرزق الحلال قال عز وجل (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرۡضَ ذَلُولا فَامۡشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزۡقِهِ ۖ وَإِلَيۡهِ النُّشُورُ).(٣).

فالله تعالى هو الرزاق ومن حكمته جعل لرزقه أسبابا محللة ومن هذه الأسباب المحللة والمشروعة يتقبلها، والتي يطلبها المتقون ويتقربون بها اليه سبحانه (إِنمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الۡمُتَّقِينَ). (٤)٥٥

فالله تعالى لم يشرع اسبابا لرزقه عن طريق الحرام بل ورد التحريم عن ذلك قال تعالى (وَلا تَأۡكُلُوا أَمۡوَالَكُم بَيۡنَكُم بِالۡبَاطِلِ).(٥)

الفائدة التاسعة: اضافة الرزق إلى الله تعالى اشارة بأن ما ينفقه المؤمنون في سبيل الله هو منه تعالى، وهو الذي منّ به عليهم، ثم

١- سورة الفرقان اية ٦٧
٢- سورة الاسراء اية ٢٩
٣- سورة المائدة اية ١٥
٤- سورة المائدة اية ٢٧
٥- سورة البقرة اية ١٨٨

دعاهم الى انفاقه في سبيله، وجعل ما ينفقونه قرضة عنده لكي يضاعفها لهم أضعافا كثيرة قال عز وجل :(مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). (١)

الفائدة العاشرة: قدّم الانفاق السر على العلن لأنه يكون أقرب للإخلاص وأبعد من الرياء والسمعة وقد يقدم الإنفاق العلن على السر لوجود مصلحة كحث الناس على الإنفاق، فكلا الامران محببان عنده سبحانه ولا يمنع أحدهما الآخر عن الإنفاق في سبيل الله.

الفائدة الحادية العاشرة: الدرء هو الدفع قال تعالى (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) (٢) وقال سبحانه (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣).[٥٦]

الفائدة الثانية عشرة: من خصائصهم الطيبة أنهم لا يتغافلون عن سيئاتهم التي صدرت منهم إنما يسعون في دفعها واستبدالها بأعمالهم الحسنة خوفا من العقاب والمساءلة عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها. (٤)

الفائدة الثالثة عشرة: فأصحاب هذه الأخلاق والصفات الحميدة قد مهدوا لأنفسهم دارا في جوار ربهم، وستكون عاقبتهم الى خير، ويرثون

١- سورة البقرة اية ٢٤٥
٢- سورة النور اية ٨
٣- سورة فصلت اية ٣٤
٤- وسال الشيعة ج ١٦ص ١٩٤

خير دار قال سبحانه (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).(١) .[٥٧]

١- سورة القصص اية ٨٣

الآية السابعة

قال تعالى (وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لأَزِيدَنَّكُمۡ ۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).(١)

القضاء إلهي

في رحاب آية جديدة، تحتوي على خزائن نفيسة، تبين فيها سنة إلهية، نقف عليها بقلوبنا وعقولنا وفيها جملة من الفوائد:

الفائدة الاولى: كثيرة هي السنن الإلهية التي ذُكرت في القرآن الكريم، وهذه سنن الالهية لا تقبل التبديل ولا التحويل لأنها صادرة من إله عليم حكيم قال تعالى (فَلَن تجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَبۡدِيلا وَلَن تجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تحۡوِيلا).(2)

فقوله تعالى (تَأَذَّنَ) يعني حكم وقضى قضاء لا يقبل التبديل لان هذا القضاء يسير وفق الحكمة الالهية المنزهة عن العبثية واللهوية.[٥٨]

الفائدة الثانية: الشكر هو عرفان النعمة والحمد والثناء عليها قال تعالى (لَقَدۡ آتَيۡنَا دَاوُودَ وَسُلَيۡمَانَ عِلۡمًا ۖ وَقَالا الحَمۡدُ للّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنۡ عِبَادِهِ المُؤۡمِنِينَ)(٣) ويقابله الكفر وهو نكران النعمة قال سبحانه (فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ اللّٰهِ).(٤)

١- سورة إبراهيم اية ٧
٢- سورة فاطر اية ٤٣
٣- سورة النمل اية ١٥
٤- سورة النحل اية ١١٢

الفائدة الثالثة: وان مجيء مفردة الرب بعد القضاء الإلهي إشارة بأن القضاء بالزيادة في حال شكركم، والحث عليه من لدنه تعالى يصب في مصلحتكم، لأن الرب هو من يدبر شؤون عباده من خلال أحكامه وتعاليمه ويربيهم تربية ربانية.

الفائدة الرابعة: والقضاء الإلهي يحتوي على شرط وجزاء، الشرط هو الشكر، والجزاء هو الزيادة ويقابله أيضا الكفر وجزاءه الوعيد.

الفائدة الخامسة: والشكر له عدة اشكال وصور فهناك شكر لساني وقلبي وعملي كقوله تعالى على لسان نبي الله ابراهيم عليه السلام (الحَمْدُ للّهِ الَّذِي وَهَبَ لي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (١) وقوله تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (٢) ويقابله ايضا الكفر على نفس الاشكال قال تعالى (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)(٣) قوله عز وجل: {يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم} (٤)وقوله تعالى (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ)(٥).

الفائدة السادسة: أن الشكر والكفر من المسائل الاختيارية وليس من المسائل القهرية والجبرية حيث يعطى الشاكر الزيادة في حال الشكر، والكافر يُتوعد بالعذاب الشديد وفيه دليل واضح وصريح يرد على من قال بأن الإنسان مسير في أفعاله وليس مخيرا.[٥٩]

١- سورة إبراهيم اية ٣٩
٢- سورة سبأ اية ١٣
٣- سورة إبراهيم اية ٩٤
٤- سورة الفتح اية ١١
٥- سورة النحل اية ١١٢

الفائدة السابعة: أن الشكر وان كان اختياري الحصول، وحُثّ عليه من قبل اللّه تعالى حتى يُثاب عليه العبد (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ) (١) .

لكنه يصاب بتوفيق اللّه سبحانه (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (٢) .[٦٠]

الفائدة الثامنة: دخول لام القسم ونون التوكيد على الفعل (لأَزِيدَنَّكُمْ) فيه تأكيد على جزمية الزيادة في حال حصول الشكر من العبد، وفي الآية رسالة اطمئنان لكل الشاكرين بأن اللّه لا يخلف وعده وإن الزيادة المقرونة بالشكر لا تقبل التبديل، وان القضاء مبرم لا يقبل التحويل.

الفائدة التاسعة: وكفران النعمة بالأشكال الثلاثة أي باللسان والقلب والعمل هو نكرانها وبالتالي يكون الكافر لأنعم اللّه قد وضع نفسه في محل التعريض، لعذاب اللّه الشديد.

الفائدة العاشرة: واللطيف ان في حال الشكر قالت الآية (لأَزِيدَنَّكُمْ) ولكن في حال الكفر لم تقل (لأعذبنكم) انما اشارت بالتعريض على الوعيد (وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) وذلك لسعة رحمته وحلمه تعالى.

١- سورة البقرة اية ١٥٢

٢- سورة النحل اية ١٩

- **بحث حول الشكر**

قد نفهم موضوع الشكر ونتصوره من جوانب وزوايا عديدة، فهناك شكر مع نوع الانسان بعضهم مع البعض، ويمكن ان نسميه بالشكر الأخلاقي والفطري بغض النظر عن دينهم وملتهم واعرافهم.

فالإنسان السليم من الامراض القلبية كالكبر والجحود لا ينكر من تفضل وأحسن اليه، لان نفسه وفطرته النقية تدفعه الى شكره وتأبى نكران الجميل،

فالإنسان لم يفطر على الكفر والنكران قال عز وجل (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١).

فالله تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم قال عز وجل (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٢).

والتقويم في الخلقة يعمّ جميع المستويات المادية والروحية والنفسية، وكفر النعمة اذا ما طرأ من اناس انما يطرأ حدوثا وبدوا بسبب مرض القلب المغاير مع فطرة الله قال سبحانه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٣)..[٦١]

بعبارة أخرى أكثر توضيحا ان الله تعالى لم يخلق الانسان مفطورا على كفر النعم ونكرانها انما خلقه على شكرها ولكن بسبب الاهواء والامراض القلبية تحجب الفطرة النقية فيكون بعدها انسانا كنودا.

١- سورة الروم اية ٣٠
٢- سورة التين اية ٤
٣- سورة المؤمنون اية ١٤

فحينما يصف القران الكريم الانسان بالكفور والجحود قال عز وجل (قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ(١) وقوله تعالى (إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٢) لم يقصد ان اللّه تعالى قد فطر الانسان على الكفر انما الكفر جاء متأخرا بسوء اختياره فيكون خصيما وعنيدا وجاحدا لأنعم اللّه.

اذاً فليس المراد مطلق الانسان هو كنود ولا ان الانسان مفطور على الجحود، انما بسبب مرض القلوب، وتغطية الفطرة السليمة بالذنوب.

وقد يكون الانسان شكورا مع نوعه ولا ينكر فضله ولا ينسى خيره ولكنه مع ربه اشدهم كفرا.

وهذه المرتبة والصفة لا تقتصر على الكافر فقط انما تطال حتى اهل التوحيد من المسلمين لان الكفر له مراتب وحالات متعددة قال تعالى (فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (٣) .

وقد يكون الانسان شاكرا بلسانه وقلبه لكنه جاحد بعمله لان جميع النعم المفاضة على الانسان المادية والمعنوية هي امانات الهية تلزم عليه شكرها بحسن أدائها.[٦٢]

وهذه المرتبة قليلة الامتثال والالتزام من قبل الناس، فان كثيرا منهم تراهم شاكرين بالسنتهم، لكنهم غير شاكرين بأعمالهم قال عز وجل (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (٤).

١- سورة عبس اية ١٧
٢- سورة العاديات اية ٦
٣- سورة الفجر اية ١٦
٤- سورة سبأ اية ١٣

وان شكر العبد مهما بلغ من المقبولية والحظوة عند ربه ينبغي ان يشعر بالتواضع والتقصير والخجل في قرارة نفسه لان أي شكر يصدر منه انما هو بتوفيق اللّه وعنايته لأنه هو الذي اوجد الانسان من العدم، وافاض عليه النعم، وخلقه في أحسن تقويم، ومنّ عليه بالإيمان، وهيأ له سبل الطاعة، وحفظه من كيد الشيطان قال تعالى (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١).

١- سورة النمل اية ١٩

الآية الثامنة

قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) (١).

السعي نحو الآخرة

ما أروع آيات الله تعالى فكل آية في كتابه العزيز تحمل في ثناياها اما حكمة او موعظة او توجيها، او تبشيرا او تحذيرا، ومرد كل ذلك الى سعة رحمة الله (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (٢) وفي الآية المباركة عدة فوائد:

الفائدة الأولى: لكي تنال الآخرة هنالك ثلاث مقدمات أساسية وبدونها يتعذر نيلها، إرادة، وسعي، وإيمان.[٦٤]

الفائدة الثانية: لم تسلب ارادة الإنسان في اختيار نعيم الآخرة او متع العاجلة (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ). (٣)

وهذه الآية واضحة الدلالة على أن الإنسان مخير وليس مسيرا في أفعاله، وترد على من ادعى سلب الارادة منه، حتى يثاب الإنسان بسعيه للآخرة، ويعاقب باختياره للدنيا.

الفائدة الثالثة: فكلما كان الهدف والمقصد عظيما فلأبد أن يكون السعي والهمة لنيله يتناسب معه، فنعيم الاخرة لا ينال بالكسل والإهمال والتمني انما بالسعي الحثيث للعمل الصالح.

١- سورة الاسراء اية ١٩
٢- سورة الانعام اية ٥٤
٣- سورة الاسراء اية ١٨

ولذا ورد في كتاب الله على ضرورة التسابق والتسارع الى جنان الاخرة حتى يتناسب ويليق السعي مع عظيم الاجر قال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(١) (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(٢) .[٦٥]

الفائدة الرابعة: أنّ الإرادة والسعي لا فائدة منهما ما لم يقترنا بالإيمان بأصول الدين فإن نكران أي أصل من أصوله يكون حائلا ومانعا عن الفوز بالآخرة.

لذا لا يجوز الايمان ببعض عقائد الإسلام، والكفر بالأخرى انما لابد يكون الانسان مؤمنا في جميع عقائده الحقّة كما قال تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٣). (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤).

الفائدة الخامسة: مع أن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهيأ له أسباب الطاعة والتوفيق للفوز بالجنان لكنه لا ينسى أن يشكر عباده المؤمنين الذين آمنوا بكل ما نزل عليهم، وطاعتهم إياه، ويقدر ويشكر سعيهم وصبرهم في جنبه سبحانه.

١- سورة الحديد اية ٢١
٢- سورة ال عمران اية ١١٢
٣- سورة البقرة اية ٢٨٥
٤- سورة الانفال اية ٤

وهذا الشكر منه تعالى تفضل عليهم، فلذا المؤمنون في الجنة يشكرون الله تعالى على ما تفضل عليهم من نعيم الاخرة قال تعالى (وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (١)[٦٦].

الفائدة السادسة: ان الحث في السعي الى الاخرة يشعر بوضاعة الحياة الدنيا وزوالها وخرابها، اما الاخرة فهي حياة رفيعة وشريفة وباقية، وحياة ابدية لا تشوبها المنغصات والشدائد والآهات.

فتلك دار الاخرة ينبغي ان يكون سعي المؤمن اليها بكل طاقته وجهده ولا يؤثر عليها متع الحياة الزائلة.

١- سورة فاطر اية ٣٥

الآية التاسعة

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١).

ظاهرة اجتماعية سيئة

هذه الآية المباركة من الآيات المهمة التي تتناول ظاهرة اجتماعية سلبية وفيها جملة من الملاحظات المهمة:[٦٧]

الملاحظة الأولى: أن الآية المباركة وان نزلت في قوم منافقين يحبون اشاعة الفاحشة في الذين آمنوا لكن هذا لا يعني انتفاء هذا السلوك المريض والخطير في المجتمع الإسلامي، فإن استفحاله في الواقع المعاش والتعاطي معه في وقتنا الحاضر والترويج له بالأساليب المتاحة خير دليل على انتشاره وتعاطيه بين كثير من الناس.

الملاحظة الثانية: أن كثيرا من الناس يروجون لهذه الظاهرة السلبية ويتعاطون معها ومع ذلك لا يعدونها من الفواحش الكبيرة ولا يعيرونها أي أهمية وغير مبالين بخطورة فعلهم بسبب قلة إيمانهم، والجهل بعواقبها وآثارها المهلكة، ولذا جاء التهديد لمرتكبها.

الملاحظة الثالثة: أن وجود هذا التهديد الشديد والوعيد في الآية المباركة يتناسب مع فخامة الضرر الكبير الذي يقع على المؤمنين ويلحق بالمجتمع الاسلامي بسبب اشاعة الفاحشة فيهم، وكذلك للردع من فعلها.

١- سورة النور اية ١٩

لذا كان لابد من عامل ردع قوي يتناسب مع الفاحشة لصيانة حرمة وكرامة المؤمنين من الخدش والانتهاك، ولذا كان تعبير الآية شديد اللهجة يحمل في طياته التهديد والوعيد.[٦٨]

الملاحظة الرابعة: ان بعض القلوب المريضة لديها شغف وحب في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فلا يدعون وسيلة لانتهاك حرمة المؤمن وانتقاص من شخصيته وإسقاطه في اعين الناس إلا اتخذوها (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١).

الملاحظة الخامسة: والفاحشة كل ما يقبح فعله من قول او عمل، فكل كلمة يراد من إشاعتها انتهاك حرمة المؤمن يكون قائلها مصداقا للذين يحبون اشاعة الفاحشة.

الملاحظة السادسة: وهل أن الفاحشة التي يراد اشاعتها موجودة فعلا عند الاخر؟ او تفتعل افتراء عليه كما في حادثة الافك حينما اتهم المنافقون عرض النبي بالسوء؟ والآية ساكتة عن ذلك.

ويمكن القول إن إشاعة الفاحشة بحق المؤمن محرمة مطلقا فإن كانت الفاحشة موجودة بالفعل فيجب سترها ويحرم اشاعتها، وإن لم تكن موجودة فهي افتراء عليه ومن أشد الذنوب حرمة لذا ورد في الآية التهديد والوعيد عليها.

الملاحظة السابعة: أن العذاب الاليم الذي يلحق بمشيع الفاحشة في الذين آمنوا سيناله بالدنيا قبل الآخرة سواء من خلال التعزيرات او

١- سورة البقرة اية ١٠

البلاء الذي ينزل عليه بسوء عمله حتى يلاقي سيئات عمله، وفجيعة فعله، ويكون عبرة لغيره.

الملاحظة الثامنة: ان اللّه يعلم الذين يشيعون الفاحشة وليس بغافل عنهم ويعلم بمن يمكر بالذين آمنوا، فاللّه محيط بهم لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلم العاقبة السيئة التي تنتظر هؤلاء وأنتم لا تعلمون ذلك.

الملاحظة التاسعة: وفي الآية تخويف وتحذير للذين يحبون إشاعة الفاحشة في الذين امنوا بان سعيكم في الاشاعة لا يخفى علينا ونحن نحيط بنواياكم السيئة وعملكم الحثيث في كشف أستار المؤمنين او الافتراء عليهم فنحن نعد لكم العذاب الأليم في الدنيا قبل الاخرة بسبب افعالكم السيئة.

- **بحث حول إشاعة الفاحشة**

ركزّت الشريعة الاسلامية من خلال احكامها وتشريعاتها العظيمة وآدابها الشريفة على إيجاد المجتمع المثالي الذي يتسم أفراده بالأخلاق والطهارة والتآلف ومفارقة الأخلاق الفاسدة والعادات السيئة وفي النفس الوقت أكدت تأكيداً كثيراً على حرمة بذل الجهود والمساعي المنافية للشريعة لغرض تمزيق اواصره، وتفريق وحدته، وتشتيت كلمته.

ومن الواضح ان المجتمع الناجح انما يستمد قوته وثباته بتكاتف أفراده، وتعاون عناصره، والدفاع عن حرماته، والالتزام بأحكامه، ومن اهم الأحكام التي أكد عليها الشارع المقدس هو صيانة حرمة المؤمن، ولزوم حفظ مكانته، وسمعته من الخدش فقد ورد في الحديث الشريف

المشهور ان حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة لأن المؤمن هو لبنة مهمة من المجتمع الإسلامي، وهدم مروءته هو هدمٌ لبناء المجتمع.

ولحفظ هذا البناء من الهدم او التصدع شُرعت قوانين صارمة وعقوبات شديدة للردع من ردمه أو تضعيفه.

ثم ان الأخوة الايمانية بين المؤمنين بنص القرآن الكريم والروايات الشريفة تلزم بوجوب صيانة حرمة المؤمن بل بوجوب دفاع عن حرمته حال تعرضها الى الهتك او التشويه او التقليل من شانها.[٦٩]

وإشاعة الفاحشة تُعد من أشد العوامل خطورة في هتك سمعة المؤمن وفي إسقاط منزلته ومكانته وشخصيته بين الناس، وهذا الفعل الشنيع يُوّلِد ويفرز حالة سيئة اخرى وآفة سلبية جديدة في المجتمع وهي كشف عورات الآخرين واسقاطهم من أعين الناس عند الاطلاع على عيوبهم.

فروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله عز وجل من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان. (١) .

- **بحث حول مرض القلب**

لعل البعض يستغرب من وجود أناس في المجتمع الانساني ديدنهم وشغفهم السعي في إشاعة الفاحشة في الذين امنوا، وربما يتساءل لماذا هذا الحب والمرض السلبي في أنفسهم؟ وكيف تكوّن هذا الخلق السيء في تصرفاتهم؟ وتجذر في سلوكهم تجاه المؤمنين؟

ويمكن ان يجاب على هذا التساؤل:

١- الاختصاص ص ٢٠

ان قلب الانسان من أعظم المنح الالهية، وهناك من يقدر قيمته ويعرف عظمته، فيسعى في الحفاظ عليه من السراق، ويصونه المخاطر، ويقيه من التلوث والادران، وتلاعب الشيطان وهناك من يعرضه لشتى المخاطر، ويهمله من دون اهتمام.[٧٠]

وان قلب الانسان مع طهارته ونقاوته عند خلقه وفطرته لكنه عرضة لشتى الامراض، ويمرض كما تمرض الابدان، ويتأثر ويقسو حتى يفوق صلابة صخر الصوان قال تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١).

وحينما يقسو القلب لا يبالي المرء بعدها بما يرتكب من المعاصي والفواحش، ويتضاءل عنده الايمان، وتغلق اذانه عن سماع المواعظ، ولا يتأثر بالزواجر، ولا يكترث بالمخاطر.

فان القلب الذي يحب إشاعة الفاحشة في الذين امنوا قد ران من كثرة الذنوب بحيث علاه الصدأ، وأصبح اعمى لا يبصر من الحق شيئا.

ولذا من الضروري ان يتم حراسة القلب من الدخلاء والسراق من شياطين الانس والجن وان يتحلى المؤمن بالورع والخشية من الله والخوف من شدة عذابه، والرهبة من عظيم نكاله، والحذر من نزول بلائه.

١- سورة البقرة اية ٧٤

فيوم القيامة يقف المرء امام ربه، وينظر الى صحيفة عمله، ويحاسب على خطرات قلبه، وتتقطع عنه يومئذ الأسباب، ولا تغنى عنه الأموال ولا البنون الا من اتى الله بقلب سليم من الامراض قال تعالى (يَوۡمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨)إِلا مَنۡ أَتَى اللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ (١). [٧١]

فلا ينفع يومئذ الندم، ولا كثرة الآهات والحسرات ولا العض على الانامل، فيالها من لحظات يعجز القلم في بيانها، ويكلّ اللسان عن وصفها، فطوبى لمن سمع المواعظ فخشى، وخاف الاخرة فاتقى، ورغب فيما عند ربه فسعى.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله :(لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي (٢) .

وعن الإمام علي (عليه السلام :(إن من البلاء الفاقة، وأشد من ذلك مرض البدن، وأشد من ذلك مرض القلب. وإن من النعم سعة المال، وأفضل من ذلك صحة البدن، وأفضل من ذلك تقوى القلوب.(٣)

١- سورة الشعراء اية ٨٩
٢- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٦١٢
٣- نفس المصدر

الآية العاشرة

قال تعالى (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(١).

الدعاء يعبر عن روح الايمان

في رحاب آية جديدة وفيها فوائد عديدة:

الفائدة الأولى: الأمر موجه للنبي (صلى الله عليه وآله) لإيصال الخطاب الإلهي لقومه فالمعنى قل يا نبي الله لقومك.

الفائدة الثانية: يعبأ بمعنى الاهتمام والقيمة والقدر والمكانة، والفعل مسبوق بالنفي والمعنى أن الله تعالى غير مبال ومهتم بكم، ولا يجعل لكم قيمة وقدرا لو لا وجود دعاؤكم،[٧٢]

الفائدة الثالثة: أن الدعاء يعبر عن روح الإيمان بالله والتوجه والعبادة إليه، والتكبر عن الدعاء هو تكبر عن العبادة قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٢).

الفائدة الرابعة: وإن التكذيب بآيات الله وما نزل من الحق له تبعات ملازمة لكم، وستظهر آثارها يوم القيامة وتعاقبون عليها.

الفائدة الخامسة: ان إضافة الرب إلى حضرة النبي (صلى الله عليه وآله) (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي) يشعر بأن وجود الدعاء والحث عليه والذي يعبر عن روح الإيمان هو نابع من الرب الذي يربي عباده على العبودية

١- سورة الفرقان اية ٧٧
٢- سورة غافر اية ٦

ومنها التواضع والتذلل والتوسل اليه سبحانه، وما يستتبع من جزيل الثواب.

- **بحث حول الدعاء**

اهتمت الشريعة المقدسة اهتماما كبيرا في مسالة الدعاء لما له من اثار إيجابية كثيرة في سلوك الانسان العبادي تجاه ربه.[٧٣]

وان الدعاء وان كان يصبّ في مصلحة العبد، وان الساحة الإلهية مستغنية عن دعائه، لكن الله تعالى حيث عليه في مواطن كثيرة من القران الكريم كقوله تعالى (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١).قوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (٢).

وهذا الحث لأجل تهذيب النفس وتربيتها على اظهار التواضع والمسكنة والخضوع، وكبح الانفة والتكبر عن النفس.

وان الدعاء يعبر عن روح الايمان بالله تعالى والتعلق بعالم الغيب والرجاء بما عند الله من الفضل والإحسان وقضاء الحوائج ودفع النوائب وغفران الذنوب وستر العيوب.

فقد كان اهل البيت (عليهم السلام) يدعون الله مع عصمتهم وطهارتهم وصبرهم على الشدائد والمحن لانهم على علم بان الدعاء افضل وسيلة يمكن ان يتقرب بها العبد الى ربه.

١- سورة الأعراف اية ٥٥
٢- سورة البقرة اية ١٨٦

وان أدعيتهم الواردة عنهم والتي تتجلى فيها أسمى مظاهر ذل العبودية لله عز وجل من البكاء والوله والعشق والاعتراف بالتقصير لم تكن لتعليم الناس عن كيفية الدعاء كما يظن البعض انما كانت ادعيتهم تعبر عن حقيقة انفسهم من ذل العبودية والشكر والامتنان لله المنان ، بما تفضل عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ويعجزون عن شكرها مهما اجتهدوا وبلغوا في الدعاء والثناء، فمن دعاء الامام الحسين عليه السلام انه قال (أَنْ لَوْ حَاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الأَعْصَارِ وَالأَحْقَابِ لَوْ عُمِّرْتُهَا، أَنْ أُؤَدِّيَ شُكْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذَلِكَ، إلا بمَنِّكَ المُوجِبِ عَلَيَّ به شُكْرَكَ أبداً جَدِيداً، وَثَنَاءً طَارِفِ عَتِيداً. أجل، وَلَوْ حَرَصْتُ أنا وَالْعَادُّونَ مِنْ أَنَامِكَ أَنْ نُحْصِيَ مَدَى إِنْعَامِكَ سَالِفَةً وَآنِفَةً، ما حَصَرْنَاهُ عَدَداً، وَلا أَحْصَيْنَاهُ أَمداً. هَيْهَاتَ أَنَّى ذَلِكَ، وَأَنْتَ المخْبِرُ في كتابِكَ النّاطقِ، وَالنَّبَأ الصَّادِقِ: {وإنْ تعدُّوا نعمةَ اللّه لا تحْصُوهَا}. صدق كتابُكَ، اللّهمّ وإنباؤك).

اذاً ينبغي للمؤمن ان يدعو الله تعالى في الشدة والرخاء سواء قضيت له حاجته او لم تقض لحكمة يجهلها لان الدعاء بحد ذاته عبادة يؤجر عليه الداعي، وان الله يحب الملح بالدعاء حتى يسمع صوته وتضرعه.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سل حاجتك وألح في الطلب فان الله يحب إلحاح الملحين من عباده المؤمنين.[٧٤] (١).

في عدة الداعي (عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إن الله عز وجل يحب السائل اللحوح. (٢) .

١- وسائل الشيعة ج ٧ ص ٦٠

٢- نفس المصدر

قال: وقال (عليه السلام): رحم الله عبدا طلب من الله حاجة فألح في الدعاء. (١) .

قال: وفي التوراة ان الله يقول: يا موسى، من رجاني ألح في مسألتي

قال: وفي زبور داود يقول الله عز وجل: يا بن آدم، تسألني وأمنعك لعلمي بما ينفعك، ثم تلح عليّ بالمسألة فأعطيك ما سألت[٧٥]. (٢) .

١- وسائل الشيعة ج ٧ ص ٦٠
٢- نفس المصدر

الآية الحادية عشرة

قال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١).[٧٦]

مراحل أطوار الإنسان

ان الآية المباركة تكشف عن مراحل تطور الانسان في عالم الاجنة الى خروجه إلى عالم الدنيا الرحب وفي الآية عدة ملاحظات مفيدة:

الملاحظة الأولى: بدأت الآية بضمير (هو) اشارة الى ضمير الشأن الذي يشير الى الذات الالهية (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (٢) الذي خلق الانسان بهذه الكيفية والاطوار والتتابع في الخلق والذي يدل على قدرة اللّه في الخلق وحكمته في هذه مراحل الترتيبية، لتعظيمه وتوقيره قال تعالى (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) (٣).

الملاحظة الثانية: ان أصل خلق الإنسان من تراب وفي لفظ آخر من طين (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (٤) (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لازِبٍ). (٥)

وفيه اشارة الى ان الانسان ممكن الوجود وأنه حادث واللّه تعالى أخرجه من العدم الى عالم الوجود.

١- سورة غافر اية ٦٧
٢- سورة الإخلاص اية ١
٣- سورة نوج اية ١٤
٤- سورة المؤمنون اية ١٣
٥- سورة الصافات اية ١١

ثم يبدأ الطور الثاني من تكوين الإنسان وهي النطفة قال تعالى (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يمْنَى (١) وقال سبحانه (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا).(٢).[٧٧]

ثم يبدأ الطور الثالث وهي العلقة وهي عبارة عن قطعة من دمٍ غليظة جامدة، وهي طور من أطوار تكوين الجنين قال تعالى (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لحمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) (٣) وقال سبحانه (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٤)

فطور النطفة والعلقة والمضغة في عالم الأجنة قال تعالى (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) (٥). وقال سبحانه (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ ۖ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ۖ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)

ثم تبدأ مرحلة الطفولة بعد ان يُخرج من عالم الأجنة ، فالطفل وهو الصغير الضعيف الناعم الذي يتغذى على غيره والذي لم يبلغ الحلم قال تعالى (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ)(٧) ثم يبلغ الأشد، وقيل ان بلوغ الأربعين عاما هو بلوغ الاشد قال تعالى (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

١- سورة القيامة اية ٣٧
٢- سورة الانسان اية ٢
٣- سروة المؤمنون اية ١٤
٤- سورة القيامة اية ٣٨
٥- سورة النجم اية ٣٢
٦- سورة الزمر اية ٦
٧- سورة النور اية ٥٩

وَالِدَيَّ)(١)وقال تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢).

ثم يأتي سن الشيخوخة، ومن الناس من يتوفى قبل بلوغه، وكل انسان له أجل مسمى اي معلوم عند الله لا يسبقه ولا يعدوه قال تعالى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (٣).[78]

الملاحظة الثالثة: وان هذه الأطوار والمراحل التي يمر بها الانسان هي آيات الهية فعلى كل عاقل ان يقف عليها، ويتدبر فيها حتى يصل الى حقائق ومعارف كثيرة، فالله تعالى قادر على ان يخلق الانسان من دون هذه الاطوار قال تعالى (إِنمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤).

ولا شك ان هذه الأطوار المختلفة لم تكن عبثية ومن دون حكمة، فمن جهة تبين قدرة الله وعظمته حتى يذعن الإنسان ويؤمن بالله ومن جهة اخرى ينظر الانسان الى فقره وضعفه حتى لا يصيبه الغرور والكبر، قال تعالى (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٥).

وقال عز وجل (يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٦).

وأن الإنسان له غاية خلق لها ولابد ان يسعى اليها من الإيمان بالله والعمل الصالح، فلا يعقل أن يتنقل الإنسان بهذه الكيفية من دون وجود

١- سورة الاحقاف اية ١٥
٢- سورة القصص اية ١٤
٣- سورة الأعراف اية ٣٤
٤- سورة يس اية ٨٢
٥- سورة النحل اية ٤
٦- سورة الانفطار اية ٨

غاية عظيمة وهدف نبيل يسعى اليه ثم يحشر يوم القيامة ويسال عن اعماله صغيرها وكبيرها قال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١).[٧٩]

- **بحث حول اطوار الخلق الانسان والحكمة منها**

لا يزال البعض يبحث عن اية ودليل على وجود الصانع والخالق لهذا الكون! مع انهم لا يرتاب احد بوجود العلل فيما يقع تحت حواسهم وما تستنتجه عقولهم وافكارهم وتجاربهم من خلال العلل والمعولات.

فلا يمكن انكار ضوء النهار المعلول لعلة الشمس ولا يرتاب بالظل ناتج من الشاخص، والأثر الذي يدل على المؤثر.

بينما يتغافلون عن علة هذا الكون الرحب، وعدم ايعازه الى خالق قدير، ومدبر حكيم، وموجد عليم.

فإما ينكرون له صانع وخالق او يوعزون خلقه للمادة الصماء التي تعجز عن ايجاد نفسها فضلا عن ايجاد غيرها.

ولذا تجد القران الكريم يسوق الآيات والادلة على خلق الانسان تارة بشواهد وقوالب حسية، واخرى بأدلة عقلية، لا يمكن لاي عاقل ان يشك فيها كبداية خلق الانسان وتكوينه في ظلمات ثلاث (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ۖ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٢).

١- سورة المؤمنون اية ١١٥

٢- سورة الزمر اية ٦

حتى يلفت انتباههم ويوقظ عقولهم بان هذه الاطوار والمراحل في خلق الانسان وهذا التصوير الدقيق في تكوينه في عالم الاجنة بهذه الكيفية الدقيقة والحكيمة، ان له خالقا مدبرا عليما حكيما.[٨٠]

واذا ما حصل الجحود والنكران لهذا الخلق والاتقان، انما هو نتيجة الظلم والاستعلاء وفساد الانسان قال عز وجل(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١).

فان هذا الخلق البديع والحكيم بهذه الاطوار الترتيبية من ظلمة بطن الام وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، وايصال الغذاء اليه، وحفظه من المخاطر، وتصويره بكيفية معينة ثم يخرج تاما سويا يستلزم من كل انسان عاقل توقير الخالق وتعظيمه لا ان يكون خصيما قال تعالى (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للَّهِ وَقَارًا (١٣)وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (٢). وقال سبحانه (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٣)،

ومن دعاء الامام الحسين (عليه السلام) (فَابْتَدَعْتَ خَلْقِي مِنْ مَنِيٍّ يمْنَى، وأَسْكَنْتَنِي في ظُلُمَاتٍ ثَلاث، بَينَ لحْمٍ وَدم وجِلْدٍ، لَمْ تشهدني خَلْقِي، وَلَمْ تجْعَلْ إلَيَّ شَيْئاً مِنْ أَمْرِي، ثُمَّ أَخْرَجْتَنِي للّذي سبق لي من الهدى إلى الدّنيا تَامّاً سَوِيّاً، وَحَفِظْتَنِي في المَهْدِ طِفْلا صَبِيّاً، وَرَزَقْتَنِي مِنَ الْغِذَاءِ لَبَناً مَرِيّاً، وعَطَفْتَ عَلَي قُلُوبِ الحَوَاضِنِ، وَكَفَّلْتَنِي الأُمَّهَاتِ الرَّواحم، وَكَلأْتَنِي مِنْ طَوَارِقِ الجَانِّ، وَسَلَّمْتَنِي مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، فَتَعَالَيْتَ يَا رَحِيمُ يَا رَحْمَنُ) .

١- سورة النمل اية ١٤
٢- سورة نوح اية ١٤
٣- سورة النحل اية ٤

وان كثيرا ممن ينكرون هذه الآيات الواضحة الدلالة على وجود خالق لهذا الكون والانسان وما يتمتع به من قدرة وحكمة وتدبير مطلق انما لأجل الانفلات من الالتزامات الدينية والتكاليف الشرعية التي يعتبرونها تقّيد حرياتهم وبالأحرى شهواتهم وفسادهم ولذا عبرت الآية المباركة في قوله تعالى (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١).[٨١]

فيخلقون ويوجدون المبررات والشبهات السخيفة والضعيفة لأجل اقناع أنفسهم ويبقون في غيهم وملذاتهم وفسادهم يعمهون.

١- سورة النمل اية ١٤

الآية الثانية عشرة

قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (١).

الآيات الآفاقية

في رحاب آية كريمة، تتحدث عن آيات الله في الآفاق، وتبين كيف أن الله تعالى يتصرف بالظواهر السماوية بمقتضى حكمته، وفيها عدة فوائد:

الفائدة الأولى: من الواضح أن تناول الآيات الآفاقية في القرآن الكريم وبيان تفاصيلها للناس انما لأجل تحريك عقولهم، وإيقاظ قلوبهم، وفتح بصيرتهم، من خلال الرؤية البصرية والعلمية حتى يعلموا ان وراء هذه الآيات الافاقية الها وخالقا ومدبرا وحكيما قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ)(٢). [82]

الفائدة الثانية: والخطاب موجه للنبي (صلى الله عليه وآله) ويراد به عامة الناس، وألم ترَ بمعنى ألم تعلم.

وهذا الاستفهام ليثير به العقول وليعلموا بهذه الآيات التي لم توجد صدفة ولم تخلق عبثا، وان كل اية تسير وفق نظامها الكوني التي

١- سورة النور اية ٤٣

٢- سورة فصلت اية ٥٣

خلقت له قال تعالى (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١)

الفائدة الثالثة: الازجاء هو السوق والدفع برفق، فالله تعالى يسوق ويسّير السحاب من خلال الرياح ثم يؤلف بينه ثم يجعله متراكما بعضه فوق بعض في السماء ثم يتساقط من خلاله الودق، وهو المطر كثيره او قليله.

الفائدة الرابعة: ان من عجائب هذه الآية الآفاقية والظاهرة السماوية أن السحاب لكثرة تراكمه يصبح في السماء كالجبال، ومن يصعد بالطائرة وينظر من فوق السحاب المتراكم سيراه كالجبال لكثافته وتراكمه.

ثم إذا ما نزل المطر يمر بطبقات باردة في الهواء فيتكون البَرَد وهو الثلج المتساقط.

الفائدة الخامسة: ثم ان تكوّن البرد ونزوله لم تكن مسالة عبثية انما الله تعالى يصيب به من يشاء فيفسد به الزروع والبساتين لحكمة، ويصرفه عمن يشاء من عباده رحمة بهم..[٨٣]

الفائدة السادسة: ويسطع ضوء البرق بسبب وجود الشحنات الموجبة والسالبة في ذرات الماء الساقطة من السماء يكاد بريق ضوئه يذهب بالأبصار ، وإن هذه الظاهرة السماوية فيها حكمة الهية حتى يلتجأ الإنسان الى ربه ويدعوه طمعا وخوفا قال تعالى (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ

١- سورة يس اية ٤٠

الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١) وقال سبحانه (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢).[٨٤]

١- سورة الرعد اية ١٢

٢- سورة الروم اية ٢٤

الآية الثالثة عشرة

قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (١) .[٨٥]

فطرة الله

الآية الكريمة تشير الى ضرورة التوجه الى الدين الحنيف وفيها عدة فوائد:

الفائدة الأولى: الأمر موجه للنبي (صلى الله عليه وآله) ويراد به عامة المسلمين، وإقامة الوجه للدين هو الثبات والاستقرار عليه بحيث لا يناله اعوجاج او ميلان عن الحق قال تعالى (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا)(٢) ثم امرنا بإتباع ذلك الدين القيم فقال سبحانه (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣)

وقال سبحانه (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٤).

الفائدة الثانية: ويراد من الوجه هو ما يتوجه ويستقبل به إلى الشيء، ولذا سمي الوجه وجها لأنه يتوجه به الى ما يقابله، فالوجه في الآية

١- سورة الروم اية ٣٠
٢- سورة الكهف اية ١
٣- سورة الكهف اية ١٦١
٤- سورة ال عمران اية ٨٥

المباركة بأن يكون وجهة العبد وحركته وسعيه نحو الدين الحنيف بحيث لا يميل الى غيره قال تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ (١) .

ولذا امرنا ان نتوجه بوجوهنا بالصلاة الى الكعبة لأنها تمثل التوحيد وهو أصل الدين قال تعالى (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)(٢).[٨٦]

الفائدة الثالثة: والدين عند المتشرعة هي مجموعة من العقائد والمعارف الدينية والتعاليم الشرعية التي يدين به العبد في الدنيا ثم يدان عليها يوم الدين.

فالآية المباركة تأمرنا أن نقيم ونثبت ونتوجه إلى دين الله الحنيف ونميل إليه، وان ننحرف عن غيره لأن التوجه لهذا الدين يوافق فطرة الله التي فطرة الناس عليها وهي فطرة التوحيد، وهذه الفطرة الالهية لا تتبدل ولا تتغير معجونة مع الإنسان منذ خلقته ونشأته قال تعالى (إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) (٣).

الفائدة الرابعة: والفطرة تارة تأتي بمعنى الطريقة والكيفية التي خلق عليها الناس وهي فطرة التوحيد كقوله تعالى(فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) وتارة تأتي بمعنى الخلق والإيجاد قال تعالى (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا)(٤) وقوله تعالى (أَوَ

١- سورة البقرة اية ١٤٤
٢- سورة النحل اية ١٢٣
٣- سورة الزخرف اية ٢٧
٤- سورة طه اية ٧٢

خَلْقًا ممَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (١).

الفائدة الخامسة: واشارة الى الدين بضمير الإشارة البعيد (ذلك) فيه دلالة على سمو قيمه وتعاليمه العليا التي لا يدرك عظمة هذه التعاليم الالهية إلا من هداه الى دين الله الحنيف قال عز وجل (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا .(٢) .

لان هذا الدين هو دين الله الذي اصطفاه لعباده المؤمنين قال تعالى (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إَلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (٣).

ومن يبتغ غيره كان من الخاسرين قال تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ (٤).

الفائدة السادسة: ولكن أكثر الناس يجهلون حقيقة هذا الدين القيم الذي لا يعتريه الباطل ولا الاعوجاج.[87]

وان انحراف كثير من الناس عن هذا الدين القيم إنما بسبب طمس فطرتهم وإتباع أهوائهم، وعبادة الأصنام، وطاعة الشيطان.

ولذا ترى الكافر بهذا الدين القيم حينما تغشاه الازمات الشديدة يعود الى فطرته السليمة، لكن ما ان تنتهي الشدائد يرجع الى كفره وجحوده قال تعالى (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا

١- سورة الاسراء اية ٥١
٢- سورة الانعام اية ١٦١
٣- سورة البقرة اية ١٣٢
٤- سورة ال عمران اية ٨٥

نجَّيهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِايَتِنَا إلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)(١).٨٨

١- سورة لقمان اية ٣٢

الآية الرابعة عشرة

قال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) .(١) .

الاستعداد ليوم المعاد

القرآن الكريم مشحون بالآيات التي تذكر الإنسان بيوم القيامة، ذلك اليوم الذي تشخص فيه الأبصار وفي الآية جملة من الفوائد:

الفائدة الأولى: بدأت الآية المباركة بحرف النداء (يا) والتنبيه (ايها) والنداء يكون للبعيد وهذا يشعر بأن اكثر الناس بعيدون عن الحق ويعيشون حالة الغفلة في الدنيا ، فهم بحاجة من يوقظهم من سباتهم ، ويرجعهم الى فطرتهم . [٨٩]

ولذا يخاطب القران الكريم اهل الكتاب بكلمة (تعالوا) لرفع مستواهم الفكري والعقلي المتدني حتى يعوا حقائق الدين الإسلامي قال تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٢).

١- سورة لقمان اية ٣٣
٢- سورة ال عمران اية ٦٤

الفائدة الثانية: والآية تخاطب الناس جميعا من دون استثناء الى ضرورة التحصّن بتقوى الله حتى تحصنهم من شديد عقابه، وأليم عذابه.

وتقوى الله إنما تتحقق من الناس، ويكونون من أهلها حينما يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، ويتبعون طاعته، وينزجرون عن معصيته.

الفائدة الثالثة: أن اضافة التقوى الى صفة الربوبية تفيد بأن تقوى الله في الصغيرة والكبيرة هي لأجل تربية الناس على الاخلاق وتدبير شؤونهم وتحقيق سعادتهم في دنياهم واخرتهم.

أما إذا انسلخ الانسان عن التقوى فانه ينسلخ عن تربية الله وتدبيره ويدخل في تربية الشيطان قال تعالى ({وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا وَيْلَتَا ليتني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً* لَّقَدْ أضلني عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءني وَكَانَ الشَّيْطانُ للإنسان خَذُولاً} .(١) .

الفائدة الرابعة: أن الله تعالى هو المحذر من هذا اليوم العصيب (ومن أصدق من الله قيلا) ويأمر الناس بالخشية والخوف من ذلك اليوم الذي لا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده قال تعالى (وتقطعت بهم الاسباب).[٩٠](٢) .

لقد كانت هذه العلاقات والأسباب بينكم تنفع في الحياة الدنيا أما في يوم القيامة لا ينفع سوى العمل الصالح.

١- سورة الفرقان اية ٢٨

٢- سورة البقرة اية ١٦٦

وان هذا اليوم لا ريب في وقوعه لأنه وعد الله، ووعده حق ليس بالباطل، والله تعالى لا يخلف الميعاد، فاطرحوا عن قلوبكم الشكوك والظنون، واخشوا ذلك اليوم واستعدوا له بالتقوى.

الفائدة الخامسة: أن الدنيا والشيطان كلاهما غرور ويغريان بني آدم، ولكن يوجد فرق بينهما، فالدنيا تغر الإنسان بجمالها ومتعها وزخارفها، والإنسان هو من يسعى اليها ويلهث وراء متعها كالظمآن الذي يلهث وراء السراب يحسبه ماء.

وكذلك الشيطان يغرّ الإنسان بوعوده وأمانيه الكاذبة (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ) (١) ولكن الشيطان هو من يأتي ويتحرك نحو الإنسان لكي يغره ويضله ويغويه فإذا وقع في مصيدته وشراكه، أصبح له اسيرا ، واعمى لا يهتدي الى الحق سبيلا قال تعالى (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)(٢) .[٩١]

الفائدة السادسة: قد ورد في القرآن الكريم التحذير الكثير من تباع خطوات الشيطان الرجيم لأنه يغر الإنسان بوعوده الكاذبة وليس اعتباطا حينما يسمي القران الشيطان بالغرور لكثرة ما يغر الإنسان.[٩٢]

ويوم القيامة ترى الانسان الذي اتبع الشيطان يتمنى لو انه لم يطعه ولم يتبعه قال تعالى (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٣) .

١- سورة البقرة اية ٢٦٨
٢- سورة الأعراف اية ١٧
٣- سورة الفرقان اية ٢٨

الآية الخامسة عشرة

قال تعالى (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(١) .

نعم الله التي لا تعد ولا تحصى

الآية الكريمة في صدد ذكر بعض آيات الله الجعلية في الأرض وفيها عدة لطائف وملاحظات:

الملاحظة الأولى: تذكير الإنسان بنعمه تعالى التي جعلها في الأرض لتصلح معيشته، وتذلل نعمه بين يديه، ويهتدي بها في مشيه، وسعيه، وترحاله قال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[٩٢] (٢) .

وقد عمد نبي الله نوح (عليه السلام) بالاحتجاج والاستدلال بهذا الجعل الإلهي على قومه في بسط الأرض بوجود الخالق سبحانه، ولعلهم يفقهون ويرجعون الى عقولهم ويؤمنون بنبوته قال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا (٣).

الملاحظة الثانية: الرواسي جمع راس وهي الجبال الثابتة الشامخة في الأرض قال عز وجل (وَالجِبَالَ أَوْتَادًا (٤) وقال تعالى (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٥) وقال سبحانه (وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا (٦) أي ثبّتها في الأرض.

١- سورة النحل اية ١٥
٢- سورة الملك اية ١٥
٣- سورة نوح اية ٢٠
٤- سورة النبأ اية ٧
٥- سورة المرسلات اية ٢٧
٦- سورة النازعات اية ٣٢

الملاحظة الثالثة: والغرض من جعل الرواسي في الأرض حتى لا تميد وتضطرب بأهلها بسبب وجود الزلازل وغيرها من العوامل الطبيعية التي تؤثر على عدم استقرار وثبات الأرض، فلولا وجود هذه الجبال الراسيات لمادت الأرض بمن عليها.

الملاحظة الرابعة: ثم تذكر الآية نعمة وجود الأنهار في الأرض لما لها من فائدة في تخزين المياه، وتأثيرها الإيجابي على الطبيعة، وتسببها في إمداد الأراضي والزرع بالمياه.

الملاحظة الخامسة: ثم جعل الله تعالى سبلا بين الجبال والأنهار يهتدي بها الإنسان، فمع وجود الجبال الكثيرة الممتدة والوعرة والأنهار ولكن لا يوجد مانع يحول دون تنقل الانسان من خلالها بسبب الجعل الالهي في الارض لاهتداء الانسان اليها.

الآية السادسة عشرة

قال تعالى (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ)(١) .

خليفة الله في الأرض

هذه الآية من الآيات المهمة التي تتناول مسالة الخلافة في الأرض وتباع الهوى وفيها عدة ملاحظات مهمة:

الملاحظة الاولى: ان الآية المباركة تصرح بوضوح الذي لا لبس فيه بان الخلافة في الارض هي جعل الهي وليس للناس نصيب في اختيارها مهما بلغوا من العلم والمكانة والحظوة عند الله سبحانه فضلا عن الذين تلبسوا بالظلم (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ).(٢) .٩٤

وقد اشارت عدة آيات الى هذه الحقيقة الناصعة وهي مسالة الخلافة والإمامة للناس التي انيط امرها بالله دون سواه من خلقه كقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً).(٣).

وقوله تعالى (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)(٤) .

الملاحظة الثانية: ان هذا الجعل الالهي في استخلاف بعض عباده في الارض ليس خاليا من الحكمة والعلم الالهي قال عز وجل (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(٥) وقال سبحانه (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي

١- سورة ص اية ٢٦
٢- سورة البقرة اية ١٢٤
٣- سورة البقرة اية ٣٠
٤- سورة البقرة اية ١٢٤
٥- سورة الانعام اية ١٢٤

جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتجْعَلُ فيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (١). [٩٥] وقوله تعالى (وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢).

اذاً فان قضية الخلافة مع التسليم بأنها جعل الهي بصريح الآية لكن الاستخلاف والاصطفاء والاجتباء ليس خاليا من الحكمة الالهي.

الملاحظة الثالثة: ان وظيفة الخليفة ان يحكم بين الناس بالحق ويسير وفق المنهج والطريق الذي وضع له من قبل السماء لا يحيد عنه قيد انملة فلا ينساق ويتبع هواه ولا اهواء غيره قال تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (٣) وقال عز وجل (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)(٤) .

الملاحظة الرابعة: ان العلم بالأحكام صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها لا تعصم الفرد من الوقوع في الباطل بسبب وجود اهواء النفس او مطاوعة ومداهنة اهواء الآخرين، لذا فان إصابة الحق يتحقق بمجانبة الأهواء بصورة عامة.

١- سورة البقرة اية ٣٠
٢- سورة الانعام اية ٨٧
٣- سورة النساء اية ١٠٥
٤- سورة المائدة اية ٤٩

فان من أهم خصائص ووظائف خليفة اللّه في الأرض ان يحكم بين الناس بالحق وهذه الوظيفة الالهية لا يمكن ان تأخذ دورها بصورة تامة وصحيحة ما لم تُقضَ على جميع الأهواء النفسية وإلا سيكون الفرد عرضة للوقوع في الضلال.

ولذا من لطف اللّه وحكمته عصم خلائفه في ارضه من الهوى، وطهرهم من الرجس قال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (١) وقال سبحانه (إِنمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٢).[٩٦]

الملاحظة الرابعة: ان الضلال الذي يعقبه العذاب الشديد هو نتيجة نسيان الاخرة، ونسيان الاخرة حصل بسبب حب الدنيا وطول الامل وإتباع الهوى قال امير المؤمنين عليه السلام (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ).(٣).

- **بحث حول الامامة**

حسب عقيدة الامامية ان التنصيص في امامة أي فرد من اهل البيت (عليهم السلام) ينحصر في اختياره بأمر من السماء، ولا دخل لأهل البيت فيه ، فضلا عن غيرهم من الامة، انما دورهم التبليغ والاعلام بالإمام الذي يليه من بعده، لان الامامة جعل الهي بنص القران الكريم قال تعالى (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

١- سورة النجم اية ٤
٢- سورة الأحزاب اية ٣٣
٣- نهج البلاغة خطبة ٤٢

لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١)
وقال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (٢) وقال عز وجل (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (٣) قال عز وجل (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) (٤)

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الأَشْعَثِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ع يَقُولُ ونَحْنُ عِنْدَهُ فِي الْبَيْتِ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلا فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي الإِمَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ مِنَّا يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَهْدٌ مِنَ اللَّهِ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص إِلَى رِجَالٍ مُسَمَّيْنَ رَجُلٍ فَرَجُلٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى صَاحِبِهَا. (٥)

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ -إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانات إلى أهلها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَينَ النَّاسِ أَنْ تحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ، قَالَ هِيَ الْوَصِيَّةُ يَدْفَعُهَا الرَّجُلُ مِنَّا إِلَى الرَّجُلِ(٦)

وفي حادثة نزول الآية الإنذار في قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) (٧) فيها دلالة واضحة على التنصيص حينما قال رسول

١- سورة البقرة اية ١٢٤
٢- سورة السجدة اية ٢٤
٣- سورة البقرة اية ٣٠
٤- سورة ص اية ٢٦
٥- الغيبة النعماني ج ١ ص٥١
٦- نفس المصدر
٧- سورة الشعراء اية ٢١٤

اللّه (صلى اللّه عليه واله) (...يا بني عبد المطلب إني واللّه ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللّه تبارك وتعالى أن أدعوكم، فأيكم يؤازرني على أمري على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟[98]

فأحجم القوم عنها جميعا، قال: قلت - وإني لأحدثهم سنا وأرمضهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا - قلت: أنا يا نبي اللّه أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع(١٠) . وحادثة الغدير الشهيرة خير دليل على المدعى.

فالرسول هو مبلغ عن السماء، ومعصوم في التبليغ، فلا ينطق عن الهوى، ومنزه عن العصبية.[99]

فالأمة مهما كانت حريصة في اختيار خليفتها وامامها بعد نبيها فهي عرضة للأخطاء الكثيرة، لان رؤيتها محدودة وظاهرية، وعرضة للأهواء والعصبية والتحزبات المختلفة، وبالتالي سينعكس ويسري أي خطا في دور وعمل الخليفة المرشح والمبايع من قبل الامة على حياة الناس، وعلى عمل الحكومة وسياستها الداخلية والخارجية، وعلى الأجيال اللاحقة.

١- بحار الانوار ج ٣٨ ص ٢٢٤

وكم وقعَ الخلفاءُ الذين حكموا البلاد والعباد بأخطاء كثيرة، وفي مجالات شتى حينما حكموا الامة بالشورى، وباعترافهم بجهلهم لأدنى المسائل فضلا عن غيرها من المعضلات، فلا نفتري على احد منهم، وقد تصدى امير المؤمنين (عليه السلام) لبعضها وأجاب عليها وحلّ معضلاتها وبعضها أصبحت سنة متبعة وما هي بسنة هدى، فالخطأ بالحكم مهما قل او كثر هو ظلم صريح بحق المظلوم، وله انعكاسات خطيرة على الدين والمتجمع الإسلامي.

وحينما جعل الله تعالى نبيه داود (عليه السلام) خليفة في الأرض، أمره ان يحكم بين الناس بالحق، وعدم اتباع الهوى قال عز وجل (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللّه) .(١) .١٠٠

فليس جزافا اشتراط العصمة في خليفة وامام المسلمين بعد وفاة نبيهم، وضرورة وجود المعصوم في كل زمان حتى يحكم بالعدل، ويحافظ على حقوق العباد، ويصون البلاد من الفساد.

ولذا تجد الطغاة وحكام الجور والفساد، ومتقمصي خيرات البلاد، يحاربون الصلحاء، وائمة الهداة، لأنهم يطالبون بحقوق العباد.

١- سورة ص اية ٢٦

الآية السابعة عشرة

قال عز وجل (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيِنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)١

وعد الله الذي لا يخلف

الآية المباركة تتناول جانبا من واقعة بدر الشهيرة التي كانت أول معركة بين المسلمين ومشركي قريش، وكانت المعركة مرحلة انعطاف في تاريخ الإسلامي، ومورد اختبار وامتحان كبير للمسلمين بسبب قلة عددهم الذي كان ٣١٣ نفرا مع قلة العدة بينما كان عدد المشركين ما يقارب الالف مع كثرة العدة وفي الآية عدة ملاحظات مهمة:

الملاحظة الاولى: رسالة اطمئنان من الله تعالى للمسلمين بان النصر حليفكم على عدوكم وان وعد الله حق، فلا تخافوا كثرة عدوكم، وقلة عددكم، وثقوا بالله الذي لا يخلف وعده قال عز وجل (وَلَن يُخْلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ) (٢) .[١٠١]

وقال سبحانه (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)(٣) .

الملاحظة الثانية: الطائفة الاولى التي وعدها الله للمسلمين هي الظفر بالعير وهي القافلة التي كان يقودها أبو سفيان عائدا بها من الشام الى

١- سورة الانفال اية ٧
٢- سورة الحج اية ٤٩
٣- سورة البقرة اية ٢٤٩

المدينة والتي كانت تمثل هذه القافلة العصب الاقتصادي المهم لفراعنة وزعماء مشركي قريش الذين كانوا لا يألون جهدا في محاربة المسلمين، ومحاصرتهم، والمكر بهم، وإيذائهم.

والطائفة الثانية هي النفير أي النصر على الجيش الذي كان يقوده أبو جهل الذي جاء لمحاربة النبي وأصحابه بعدما استنجد به أبو سفيان حينما علم ان النبي (صلى الله عليه وآله) قد عزم الاستيلاء على القافلة.

فكان الوعد الالهي للمسلمين بالظفر بإحدى الطائفتين اما الاستيلاء على العير، او الانتصار على النفير.

الملاحظة الثالثة: فمالت القلوب الى مصادرة القافلة، وكراهية المواجهة مع العدو والتي عبر عنها القران (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) وذات الشوكة كناية عن القتال ، ومواجهة الشدائد، وبذل الانفس ولكن اصحاب النبي رغبوا بغير ذات الشوكة وهي مصادرة اموال القافلة بان تكون لهم بسبب قلة عدتهم وعددهم ، وكثرة عدوهم وعدتهم ،

الملاحظة الرابعة: لكن ارادة الله كانت مع ذات الشوكة أي مع مواجهة العدو خلافا لرغبة المسلمين لان الله يعلم بالنتائج الكبيرة والمهمة التي سوف تتحقق بالنصر على عدوهم التي تخفى على المسلمين.

فالله تعالى يريد بهذه المواجهة أن يقطع دابر الكافرين، وينصر المؤمنين ويعز الإسلام وأهله، ويخذل المشركين واهله.

وهذا ما حصل بالفعل فقد قُتل في معركة بدر ابو جهل وسبعون من رجاله واسر سبعون منهم، وقويت شوكة المسلمين، وازداد المسلمون إيمانا بدينهم وعقيدتهم، وتمسكا بنبيهم، ورغبة في الدفاع عنه، لأن اللّه وعدهم بالنصر والظفر على عدوهم وقد اراهم ما وعدهم حقا.

- **بحث حول الثقة بالله**

يميل اغلب الناس الى الأشياء الظاهرية ويتأثرون بها ويتفاعلون معها وتستأنسون بالأمور الحسية الشكلية، اما الابعاد الخفية والباطنية والاهداف المستقبلية من الأشياء والمواقف قليل من يعيها ويدرك معانيها ومغازيها.[١٠٢]

ولذا تجد القران الكريم بين الفين والأخرى يُذّكر المسلمين بهذه الحقيقة المهمة حتى يزدادوا ايمانا وتسليما وثقة بربهم وحكمته الخفية فيما يأمر وينهى كقوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَى أَن تحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١).

فهناك كراهية للقتال من قبل بعض المسلمين لظنهم ان فيه ضرر عليهم وعلى أهلهم لأنهم ينظرون بنظرة ضيقة ومحدودة ولكن القران الكريم يقول لهم فعسى الخير يكون فيما تكرهون، وعسى الشر يكون فيما تحبون، فاللّه سبحانه يعلم الغيب ويحيط بما يكتنف الأشياء الظاهرية من ابعاد خفية وحقائق باطنية تصب في مصلحتكم لكنكم بها تجهلون.

١- سورة البقرة اية ٢١٦

فالقتال مع ما فيه بأس ومحنة وشدة لكنه في نفس الوقت يعد عزة وخيرا لدينكم ودنياكم، حيث تستأصلون عدوكم وتحافظون على دينكم، ويعز الله بكم الاسلام والمسلمين، ويذل الشرك والمشركين والمنافقين.

وقوله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١). وقوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٢).

وغير ذلك من الآيات التي توضح بان الانسان يميل الى ظاهر الأشياء ويتمسك بها ويحسب ان فيها مصلحته وخيره.

ولكي يتغلب المؤمن على هذه النظرة الضيقة ويرفع من مستواه المعرفي، ويتحلى ببعد النظر عليه ان يثق بالله عز وجل واحكامه وبما امر ونهى حتى ولو كانت ظاهرا تخالف مصلحته، فان فيها بلا شك خيره.

وان الاعتقاد والايمان بهذه الحقيقة تجعل المؤمن يعيش حالة من الاطمئنان القلبي والروحي ولا يخشى التحديات والصعوبات التي تواجه في حياته لأنه يسير وفق تعاليم الإسلام ويلتزم بمنهجه القويم قال تعالى(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٣).

ولذا تجد كثير من الناس حينما يجعلون دين الله ورائهم، ويستبدلون الاحكام الإلهية بالأحكام الوضعية، ويتصرفون وفق اهوائهم، انهم يقعون في مشاكل كثيرة، وصعوبات كبيرة، وسلبيات عويصة، لا

١- سورة النساء اية ١٩
٢- سورة الروم اية ٧
٣- سورة التوبة اية ٥١

يستطيعون التخلص منها ثم تصيبهم الذلة والمسكنة بعد ذلك قال تعالى (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) (١) ١٠٤.

١- سورة البقرة اية ٦١

الآية الثامنة عشرة

قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا)(١) .

عباد الرحمن

هذه الآية المباركة من الآيات الاخلاقية، التي تتحدث عن الصفات الخاصة لعباد الرحمن، وفيها عدة ملاحظات مهمة:

الملاحظة الاولى: ان اضافة العباد الى الرحمن هي اضافة تشريفية كما يقال بيت الله وحرم الله ورسول الله الخ.[١٠٥]

فهؤلاء العباد بسبب طاعتهم لله ورسوله، وجهادهم لأنفسهم، ومحاربة اهوائهم، استحقوا بذلك ان يكونوا عباد الرحمن.

فان منزلة عباد الرحمن لا ينالها من لا يرعوي تعاليم السماء، ولا يلتزم بآدابه وأحكامه لان الدين الاسلامي ليس شعارات أو نظريات فارغة من المحتوى والمعنى، ولا أن آيات الكتاب مجرد خطابات تنظيرية ليس من ورائها مقاصد وحكم عميقة ودقيقة إنما هي آيات من كلام الله تعالى لتربية النفوس وتزكيتها على مكارم الأخلاق حتى يستحق الانسان ان يكون من عباد الرحمن الذين تخلقوا بأخلاق القرآن.

الملاحظة الثانية: أول صفة في الآية الشريفة لعباد الرحمن أنهم متواضعون في مشيهم، فهم يمشون على سجيتهم من دون تكلف او تصنع وقد نهى القران الكريم المشي على الارض مرحا، والتفاخر على

١- سورة الفرقان اية ٦٣

النوع لكراهيته عند اللّه سبحانه قال تعالى (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (١) .[١٠٦]

فعباد الرحمن يخالطون الناس بأخلاق متواضعة، ويعاشرونهم بخفض الجناح والتذلل في سلوكهم كما أمر اللّه تعالى نبيه بأن يتعامل مع المؤمنين بهذا الخلق الرفيع (صلى اللّه عليه واله) قال سبحانه (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢).

الملاحظة الثالثة: أن المشي أعم من مشي الإنسان المتعارف الطبيعي على الأرض، فالسلوك والمعاشرة مع الناس بالتواضع وخفض الجناح هو من مصاديق الهون والتذلل ومن أخلاقيات عباد الرحمن.

الملاحظة الرابعة: ونقيض الهون والتواضع وخفض الجناح هو التكبر والاختيال والأنفة على الاخرين سواء في مشيهم وسيرهم الطبيعي في الارض او في تعاملهم وسلوكهم وتعاطيهم مع الناس او تجاه المعتقدات والأحكام قال عز وجل عن المتكبر في الارض (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) (٣).

الملاحظة الخامسة: ومن أخلاقيات عباد الرحمن أنهم لا يعيرون أهمية لخطاب الجاهل ليس تكبرا منهم إنما رفعة وتنزه في مقابلة سلوك الجاهل

بالمثل: يُخاطِبُني السَفيهُ بِكُلِّ قُبحٍ   فَأَكرَهُ أَن أَكونَ لَهُ مُجيب

١- سورة لقمان اية ١٨
٢- سورة الشعراء اية ٢١٥
٣- سورة القيامة اية ٣٣

يَزيدُ سَفاهَةً فَأَزيدُ حِلماً كَعودٍ زادَهُ الإِحراقُ طيبا

الملاحظة السادسة: وان عباد الرحمن لا يخوضون مع ترهات الجاهلين، ولا يقعون في شراك المستخفين، ولا يضيعون اوقاتهم مع البطالين، ولا يجاملون اللاغين، فهم عنهم في شغل، خوفا من يوم الفصل قال سبحانه (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ) (١) .[١٠٧]

الملاحظة السابعة: أن قول عباد الرحمن للجاهلين (سلاما) هو تعبير عن الحلم والصبر والترفع عن مقابلة الجاهل بالمثل ، ولا تعبر عن الضعف او عن تذلل او المودة.

وليس بالضرورة أن تكون عبارة (سلاما) صادرة بلسان المقال من عباد الرحمن فقد تكون بلسان الحال، فيعرضون عن خطاب الجاهلين بقلوبهم وسلوكهم، ويترفعون عن إجابتهم لأنهم ليسوا بطالبي حق حتى يعار لهم السمع، ويعطى لهم من الوقت.

١- سورة القصص اية ٥)

الآية التاسعة عشرة

قال تعالى (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١) .

التطفيف في الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم

وفي الآية نلاحظ بعض الملاحظات المهمة:

الاولى: ينادي شعيب (عليه السلام) قومه بحرف (يا) لانهم بعيدون كل البعد عن قيم الانسانية والتعاليم الإسلامية بحيث غلبت عليهم الانانية فلا يفكرون إلا بأنفسهم ، واكل اموال الناس بالباطل ، فلا يعيرون اهتماما بالفساد الناتج من البخس في الكيل والميزان والبغي على أموال الناس بالباطل .[١٠٨]

فإن البخس بالمكيال والميزان من اهم الأسباب التي تؤدي الى نشر الفساد في الأرض قال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ).(٢) .

ثم إن البغي على حقوق العباد، والاستيلاء على أموالهم بالباطل يولد طبقة فقيرة مسحوقة، وطبقة غنية مترفة وبالتالي سوف يفرز هذا السلوك الخطير والمنحرف سلبيات عديدة كاستغلال الطبقة الغنية الطبقة الفقيرة، واستعبادهم، ونشوء المشاكل الاسرية والأخلاقية بسبب الفقر.

١- سورة هود اية ٨٥

٢- سورة الروم اية ٤١

فالفقر والحاجة من أبرز وأهم الأسباب لنشوء الفساد في الأرض، لان الفقير الغير التقي قد لا يلتزم بالأحكام الدينية، ويتنازل عن القيم الإنسانية والأخلاقية من أجل تحصيل المال، وتغير الحال.

الثانية: أن (الوفاء والإيفاء) هو إعطاء أو أخذ الشيء بتمامه من دون نقيصة كما في البيع والشراء او الالتزام بالشيء دون المخالفة كالوعود والعهود.

فنبي الله شعيب (عليه السلام) يطالب قومه بإيفاء الكيل والميزان من دون نقيصة كأنما يريد أن يقول لهم إنكم في حال عدم الإيفاء بالكيل والميزان فإنكم خائنون والخيانة صفة قبيحة تستقبحها الفطرة الإنسانية فكيف ترضون لأنفسكم أن تخالفوا فطرتكم وعقولكم.

الثالثة: أن مخاطبة شعيب قومه بعبارة (يا قومِ) تشعر في طياتها لونا من الشفقة والرحمة والحزن عليهم لعلمه بما يؤول اليه عملهم القبيح من الفساد في الأرض، واستحقاق العذاب من السماء.

الرابعة: أن المكيال هو حجم ومقدار معين من السعة كالوعاء، وقد أُستعمل في ذلك الزمان، وما يزال يكال به الى يومنا هذا في بعض البلدان، والميزان معروف.

الخامسة: البخس هو التقليل والتنقيص من حق الآخرين، فإذا ما جاء شخص وأراد بيع حاجته وبضاعته يعمد الكثير من ذوي النفوس الضعيفة باستغلاله فيشتريها بأقل من حقها وقيمتها، فكان هذا العمل سائدا في قوم شعيب.

- **البخس المواهب والكفاءات والصفات**

ان البخس المنهي عنه وان كان يتناول الأمور المادية ولكن البخس له سعة ومجال واسع فلا يقتصر تعاطيه في الأمور المادية بل تعم الامور الاخرى كتقليل من شأن الآخرين وبخس ما عندهم من كفاءات وصفات وأخلاق طيبة، وهذا الخلق المنهي عنه لا يختص بالمسلمين بل يعم جميع الناس.

فحينما نتحدث عن شخص ينبغي أن لا نبخس شيئا من اخلاقه او افكاره او عطائه حتى ولو كان خصمنا او لا يوافقنا الرأي، فلا يجوز اضمار الايجابيات او بخسها وسترها التي يتمتع بها.

السادسة: فكما أن التطفيف في الكيل والميزان ينتج فسادا في الأرض فلا شك أن الإيفاء في الكيل والميزان يكون سببا في نشر الإصلاح في الارض، ومن يبخس اشياء الناس يدخل في زمرة المفسدين، ومن يوفِ ويقسط فهو من مصلحين.

السابعة: أن مفردة (أشياء) جاءت نكرة لتدل على عموم البخس سواء كانت قليلا او كثيرا فهو يدخل في دائرة الافساد في الارض .[١٠٩]

الثامنة: أن إيفاء الكيل والميزان في الدنيا فلا ريب سينعكس ايجابا في الميزان الآخرة والعكس صحيحا قال تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) .(١) .

١- سورة القيامة اية ٤٧

الآية العشرون

قال تعالى (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١).

اقتراب الساعة

وفي الآية بعض اللطائف والنكات المفيدة والمهمة:

الأولى: أن الآية ذكرت حرف (في) الذي يشير ظاهرا بأن هؤلاء الناس منغمسين في الغفلة بحيث شغلتهم وغرتهم الدنيا بجمالها ولم يلتفتوا الى الاخرة والاستعداد لها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) (٢) وقال سبحانه (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ).(٣) .

الثانية: ان الآية وان ذكرت لفظة الناس في سياقها وانهم في غفلة واعراض عن الاخرة لكن ذلك من باب التغليب فليس كل الناس في غفلة وإعراض قال تعالى (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٤) .١١٠

الثالثة: أن قوله تعالى (اقْتَرَبَ) لعله اشارة بان الامة الاسلامية تعيش آخر الأمم فلا نبي سيرسل اليها وبالتالي لا وحي يُنزل عليها فهي تعد أقرب الأمم عند قيام الساعة قياسا بالأمم الغابرة.

الرابعة: قوله تعالى (اقْتَرَبَ) هو اقتراب الحساب فالإنسان كلما دنا موته واقترب رحيله من هذه الحياة فقد اقترب حسابه فقد ورد في

١- سورة الأنبياء اية ٢
٢- سورة الفتح اية ١١
٣- سورة التوبة اية ٦٥
٤- سورة النور اية ٣٧

الحديث (إذا مات ابن آدم قامت قيامته) وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): إن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) (١).١١١

الخامسة: أن قوله تعالى (اقْتَرَبَ) هو إشارة إلى قصر الحياة الدنيا قياسا بالحياة الاخرة فالدنيا مهما طال عمرها فهي لا تكاد أن تكون شيئا قبال الآخرة، فالدنيا زائلة فانية، والآخرة باقية دائمة لا تزول قال تعالى (أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ (٢) وقال تعالى (وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣) .

ومن كلام لعلي عليه السّلام :

أَيُّهَا اَلنّاسُ إِنّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اِثْنَانِ اِتّبَاعُ اَلْهَوَى وَ طُولُ اَلأَمَلِ فَأَمّا اِتّبَاعُ اَلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ اَلحَقّ وَ أَمّا طُولُ اَلأَمَلِ فَيُنْسِي اَلآخِرَةَ أَلاَ وَ إِنّ اَلدُّنْيَا قَدْ وَلّتْ حَذّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ اَلإِنَاءِ اِصْطَبّهَا صَابُّهَا أَلاَ وَ إِنّ اَلآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ اَلآخِرَةِ وَ لاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ اَلدُّنْيَا ... الخطبة (٤).

السادسة: أن هذه الآية تريد إيقاظ الغافلين عن الاستعداد للآخرة، والمتوغلين في متع الحياة الدنيا فأنكم على وشك الرحيل واقتراب الحساب فانظروا وتفكروا إلى أنفسكم إلى أين وفي أين؟ فهل تسيرون مع التقوى ام تجانبونها قال تعالى (يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ

١- تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥٥٣
٢- سورة التوبة اية ٣٨
٣- سورة العنكبوت اية ٦٤
٤- نهج البلاغة

وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١).

السابعة : أن سبب وقوع غالبية الناس في الغفلة لإقبالهم على الدنيا، وإعراضهم عن الاخرة فان الدنيا تسكر العقول والقلوب وتجذب اصحابها نحوها بحيث يبقون في حالة غيبوبة شبه تامة في عالم الطبيعة لا يلتفتون إلى ورائهم حتى يقترب أجلهم ويفاجئهم الموت وهم في غفلة وإعراض قال علي عليه السلام : مالكم والدنيا فمتاعها إلى انقطاع ، وفخرها إلى وبال ، وزينتها إلى زوال ، ونعيمها إلى بؤس ، وصحتها إلى سقم أو هرم ، ومآل ما فيها إلى نفاد وشيك وفناء قريب ، كل مدة فيها إلى منتهى ، وكل حي فيها إلى مقارنة البلى، أليس لكم في آثار الأولين وآبائكم الماضين عبرة وتبصرة إن كنتم تعقلون، ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين، منكم لا يبقون، أو لستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى ميت يبكى وآخر يعزى، وصريع مبتلى ، وعايد يعود ، ودنف بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، على أثر الماضي يمضى الباقي وإلى الله عاقبة الأمور. (٢)

الثامنة : أن حساب الآخرة ليس كحساب الدنيا ففي الدنيا امكانية وقوع السهو والغلط والاشتباه والغفلة أو التغافل في امور كثيرة ولكن حساب الاخرة لا يغادر كتاب الإنسان صغيرة ولا كبيرة قال تعالى (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى المجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ

١- سورة الحشر اية ١٩

٢- بحار الانوار ج ٧٥ ص ٢٠

هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا احْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (١) وقال تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٢) .[113]

١- سورة الكهف اية ٤٩
٢- سورة الزلزلة اية ٨

الآية الحادية والعشرون

قال تعالى (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)(١) .[١١٤]

انشراح الصدر الى الإسلام

في رحاب اية عظيمة، فيهات نكات جليلة، وفوائد كثيرة، ومسائل عميقة:

المسالة الأولى: ان الآية المباركة في صدد إيصال حقيقة مهمة الى اذهان الناس وهي ان مسالة هداية الناس الى الإسلام، او ضلالهم عن الهدى هي بيد الله على نحو الاستقلالية.

فلو أراد الناس ان يهتدوا طريق الحق ويمسكوا بحجزه ويسيروا عليه من دون ضلال وعمى لما اهتدوا الى ذلك البتة من دون ان يشاء الله.

وكذلك الحال لو أراد الناس ان يضلوا لما استطاعوا الى ذلك سبيلا الا ان يشاء الله تعالى لأنه تعالى هو القاهر فوق عباده فلا تقهره إرادة أي مريد، وقوة أي عزيز.

فالإنسان مهما اعُطي من إرادة وقوة تبقى ارادته معلقة على إرادة الله ومشيئته، ولذا لعنَ القرانُ الكريم اليهودَ القائلين بان يد الله مغلولة أي قوته وارداته مشلولة (تعالى الله عن ذلك) بحيث أصبحت لا تؤثر في الوجود شيئا ونحن لدينا الإرادة والقرار واختيار ما نريد، قال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) (٢) .

١- سورة الانعام اية ١٢٥
٢- سورة المائدة اية ٦٤

وقوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ) (١)قوله تعالى (وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٢).[١١٥]

فالحسنة تصيب العبد بعد ان يشاء الله، وكذلك السيئة، فكل ذلك من عند الله تعالى وقوله سبحانه(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) (٣) .حيث عبرت الآية بان الانشراح الصدر للإسلام منوط بإرادة الله تعالى وقوله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (٤) وقوله تعالى (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥) ومع قليل من الامعان في الآيات نلاحظ مسالة الإرادة الاستقلالية لله عز وجل.

المسالة الثانية: ولكن من لطف الله تعالى وحكمته لم يسلب الله إرادة العبد في اختيار الصالح والطالح، الهدى والضلال، حتى يثاب بفعل الحسن ويعاقب بفعله السيء.

فهذه المسالة تختلف عن المسالة الأولى فهناك قلنا ان العبد حتى ولو أراد شيئا حسنا او سيئا لا يكون الا ان يشاء الله تعالى، حتى لا تسلب إرادة الله في الوجود، وحتى لا تكون إرادة العبد قاهرة على إرادة المولى عز وجل، ولكن في هذه المسالة نقول: ان العبد لم تسلب منه الإرادة في

١- سورة يونس اية ١٠٠
٢- سورة النساء اية ٧٨
٣- سورة الانفال أية ١٧
٤- سورة القصص أية ٥٦
٥- سورة الزمر اية ٢٢

اختيار الهدى، ولم يجبر على فعل الردى حتى لا يلقي باللوم على ربه بارتكابه السيئات.

المسالة الثالثة: ان إرادة اللّه في هداية العبد للإسلام، او ارادته في اضلاله هي تسير وفق الحكمة الإلهية، ومشروطة بأمور وأسباب كثيرة، ومن أبرزها القبول بالإسلام، والاعراض عن الكفر، والاقبال الى اللّه لأنه يؤدي الى انشراح الصدر، والاعراض عنه يؤدي الى الضلال وبالتالي يؤدي الى ضيق الصدر.[116]

فاللّه تعالى هو الذي يشرح الصدر الى الاسلام اذا ما العبد اقبل وتوجه اليه ولم يكابر، واتبع الهدى قال تعالى (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١).

- **شبهة قد ترد**

وقد يفهم البعض من ظاهر الآية بان اللّه يهدي من يريد ويضل من يريد من دون مقدمات وشروط وأسباب معينة، انما أرادَ الهداية لفئة معينة، والضلال لفئة أخرى، بعبارة أخرى الهداية والضلال ناشئة من مسالة عفوية، فاللّه سبحانه خالق الناس ورب العباد يفعل ما يريد ولا يسال عما يفعل كما صرح القران الكريم بذلك (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢).

الجواب

١- سورة طه اية ١٢٣
٢- سورة الأنبياء اية ٢٣

مع التسليم بان الامر كله بيد الله، ويفعل ما يشاء بعباده ولكن في نفس الوقت ان الله تعالى حكيم في امره، وعادل في حكمه، ورحيم بعباده وجعل لكل شيء سببا، فالهداية لها أسبابها ومتعلقاتها، والضلال له مقدماته ايضا، فالضلال الذي يقع على العبد من دون اختياره امر قبيح وظلم بحقه، والله منزه عن فعل القبيح، وظلم العبيد قال تعالى (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (١).

وقال سبحانه (مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢).

المسالة الرابعة: وانشراح الصدر من أعظم النعم الإلهية على العبد ولولاه ستكون الاعمال قشرية لا لب فيها، وصورية لا فائدة منها.[١١٧]

ولذا امتن الله تعالى على النبي (صلى الله عليه واله) حينما شرح صدره الشريف قال تعالى (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (٣).

وعلامة الانشراح ونورانية القلب هو الاقبال على الله تعالى، والتسليم لدين الله، وعلامة ضيق الصدر، وقساوة القلب، هو الادبار عن ذكر الله وعن تعاليمه القيمة، وكثرة الجدال، والشعور بالأنفة قال سبحانه(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤) وقال عز وجل (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١- سورة الكهف اية ٤٩
٢- سورة فصلت اية ٤٦
٣- سورة الشرح اية ١
٤- سورة الزمر اية ٢٢

أَعۡمَى (١) وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَانٍ أَتَاهُمۡ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلا كِبۡرٌ)مَّا هُم بِبَالِغِيهِ) (٢) .

فالانشراح هو انفتاح القلب الى الله عز وجل، واطمئنان النفس، والالتزام بقيم الإسلام من دون اعراض او اعتراض، ومن دون شعور بكلفة او ضيق.

المسالة الخامسة: فالمهتدي للحق هو من شرح الله صدره للإسلام بكل ما في الإسلام من مبادئ وقيم وتعاليم سماوية عظيمة، والتزم بها، وتفاعل معها، ودافع عنها، وافتخر بها، ولم يؤثر القوانين الوضعية عليها.

فالانتماء الى الإسلام ينبغي ان لا يكون انتماء صوريا خاليا من التفاعل الفكري والقلبي والنفسي، او عدم الالتزام بأحكامه الشرعية، وتعاليمه الالهية بل يجب يكون انتماء واندماجا حقيقيا في كل ابعاده العالية، وتعاليمه السامية، والذوبان في قيمه الربانية التي تسمو بالروح الى اعلى درجات الكمال.

فهوية المسلم الحقيقية ليس بنطقه للشهادتين انما بتطبيقهما بما يحملان من معاني جليلة، وقيم نبيلة، ولا يتأتى ذلك الا بانشراح الصدر والاقبال الى الله تعالى والالتزام بدينه الحنيف.[١١٨]

المسالة السادسة: وان الاعراض عن الإسلام وتعاليمه سيوقع الانسان في الضلال فلا يعيش بعده بالانشراح ونورانية القلب انما في ضنك وضيق وقساوة القلب، لان الانشراح ينتج حالة من الاطمئنان وراحة

١- سورة طه اية ١٢٤
٢- سورة غافر اية ٥٦

النفس قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (١).

المسالة السابعة: وقد شبهت الآية المباركة بحالة الضيق التي تصيب الانسان بسبب وقوعه في الضلال كأنما يصّعد الى السماء وقد ثبت علميا ان الانسان كلما صعد الى السماء قل عنده اوكسجين الهواء مما يؤدي الى ضيق في التنفس.

وقد شبهت الحالة المعنوية التي تصيب اهل الضلال بسبب اعراضهم عن الله بحالة حسية كالذي يصعد الى السماء ويصعب عليه تنفس الهواء.

المسالة الثامنة: وان قوله تعالى (كَأَنمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) يكشف عن الاعجاز القرآني، بحيث ان القران تطرق الى مسالة علمية قبل عشرات القرون ولم يكتشفها الانسان حينها وهي مسالة ضيق التنفس في حال الصعود الى السماء بسبب قلة وجود الاوكسجين.[١١٩]

المسالة التاسعة: الرجس هو كل فعل قبيح وقذر يأتيه الانسان سواء ماديا او معنويا قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢) وقال تعالى (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٣) وقوله عز وجل (إِنمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٤) .

١- سورة الرعد اية ٢٨
٢- سورة المائدة اية ٩٠
٣- سورة يونس اية ١٠٠
٤- سورة الأحزاب اية ٣٣

ولذا نعتقد بان اهل البيت (عليهم السلام) هم مطهرون من كل رجس، في الافعال والاعمال والاقوال سواء كان ماديا او معنويا .

المسالة العاشرة: ومن خلال ذيل الآية في قوله تعالى (كذلكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) يتضح ما اسلفناه من التوضيح والبيان بان الضلال والرجس الذي اصابهم من اللّه انما بسبب عدم ايمانهم باللّه.

فالضلال لا يقع من اللّه تعالى بداية في حق عباده، وكيف يكون ذلك وهو يدعوهم الى الهدى؟ قال سبحانه (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١) ولم يجبر أحدا على اتباعه حتى يثيب المطيع ويعاقب العاصي قال تعالى (مَّنِ اهْتَدَى فَإِنمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا (٢). ١٢٠

المسالة الحادية عشرة: ان مفردة (يَصَّعَّدُ) جاءت كما تلاحظ مشددة لتدل ظاهرا على ان ضيق الصدر وانقطاع الهواء لكي يقع اثناء الصعود الى السماء ينبغي ان يكون صعودا معتد به وليس صعودا يسيرا. واللّه العالم.

تم بفضل اللّه وتوفيقه الجزء الأول، والحمد للّه رب العالمين

١. سورة التوبة اية ٣٣
٢. سورة الاسراء اية ١٥

الفهرس

- الآية السادسة

إخلاص والتزام وعمل

- الآية السابعة

بحث حول الشكر

القضاء إلهي

- الآية الثامنة

السعي إلى الآخرة

- الآية التاسعة

ظاهرة اجتماعية سلبية

بحث حول إشاعة الفاحشة

- الآية العاشرة

قيمة المرء بإيمانه

بحث حول الدعاء

- الآية الحادية عشرة

مراحل أطوار الإنسان

بحث حول اطوار الخلق الانسان والحكمة منها

- الآية الثانية عشرة

الآيات الآفاقية

- الآية الثالثة عشرة